

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، نبينا محمد ومن والاه أما بعد :
فهذه هي المجموعة الأولى من هذا الكتاب ، وهو عبارة عن نقولٍ منتقاة من بعض الكتب .

وقد يسر الله جمعها من خلال بعض القراءة المتنوعة؛ حيث كنت أدون بعض ما يمر بي أثناء القراءة ، سواء في أوراق خاصة ، أو على أغلفة الكتب المقروءة؛ فأدون ما أستحسنه من حكمة بالغة ، أو موعظة حسنة ، أو نظرة ثاقبة ، أو فكرة سامية ، أو تجربة ناضجة ، أو عبارة رائعة رائقة ، أو تحرير عالٍ ، أو أسلوب بارع ، أو معنى لطيف ، أو نحو ذلك وما جرى مجراه مما يبهج النفس ، ويوسع المدارك ، ويرقى بالهمة ، ويزيد في الإيمان ، ويدعو إلى لزوم الفضيلة .

وهذه النقول تركتها على سجيته؛ حيث لم أحرص على ملئها بالخواشي والزيادات ، ولم أترجم لجميع المؤلفين ، كما أن بعض النقول لم تذكر فيها أرقام الصفحات؛ لأنه لم يخطر في البال أثناء تدوينها أنها ستنشر .

هذا وقد جاء ذلك الكتاب حاملاً المسمى التالي :

«المنتقى من بطون الكتب»

أما الكتب التي تضمنها الانتقاء في هذه المجموعة فهي كما يلي :

١- الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع .

- ٢- صيد الخاطر لابن الجوزي.
- ٣- الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم.
- ٤- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٥- الاستقامة لابن تيمية.
- ٦- جامع الرسائل لابن تيمية.
- ٧- الفوائد لابن القيم.
- ٨- إغاثة اللفهان لابن القيم.
- ٩- الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين.
- ١٠- نقض كتاب في الشعر الجاهلي لمحمد الخضر حسين.
- ١١- هدى ونور لمحمد الخضر حسين.
- ١٢- أليس الصبح بقريب للشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
- ١٣- وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي.
- ١٤- آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.
- ١٥- مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز.
- ١٦- مواعظ الإمام مالك بن دينار.
- ١٧- مواعظ الإمام أبي حازم سلمة بن دينار.
- ١٨- مواعظ الإمام سفيان الثوري.
- ١٩- مواعظ الإمام إبراهيم بن أدهم.
- ٢٠- مواعظ الإمام عبد الله بن المبارك.

٢١- مواعظ الإمام الفضيل بن عياض.
وهذه الكتب الأخيرة للشيخ صالح الشامي.
٢٢- طاقتك الكامنة لسمير شيخاني.
٢٣- قوة الاعتزاز بالنفس سامويل أ. سيرت.
فإلى تلك النقول، والله المستعان، وعليه التكلان، وصلى الله وسلم
على نبينا محمد.

محمد بن إبراهيم الحمد

١٩/٧/١٤٢٤هـ

الزلفي ١١٩٣٢

ص ب: ٤٦٠

www. Toislam. Net

أولاً: نقولات مختارة من كتاب:

الأدب الصغير والأدب الكبير لعبدالله بن المقفع ١٠٦-١٤٢هـ

شرح ودراسة د. مفيد قميحة.

«تعريف موجز بالكتاب» :

الأدب الصغير والأدب الكبير رسالتان غايتاهما الإصلاح النفسي، والسياسي، والأخلاقي، والاجتماعي؛ فالأدب الكبير تركّز حول نقطتين رئيسيتين هما: السلطان، وما يتبعه من شؤون تتعلق به، والصدّاقة وما يتعلق بها من روابط ومعاملات.

وأما الأدب الصغير فهو عبارة عن شذرات متفرقة، وخواطر متعددة، مستوحاة من تجارب ماضية، مختزلة في ألفاظ موجزة، منتقاة من حكم الأسلاف ومواعظهم وآرائهم في الحياة.

والتأمل لها يفيد منها خبرة، ونضجاً، ودربة، وحسن تعامل مع الأحداث.

أ: نقولات من كتاب الأدب الصغير:

١- غاية الناس، وحاجتهم صلاح المعاش والمعاد، والسبيل إلى دركها العقل الصحيح، وأمانة صحة العقل اختيار الأمور بالبصر، وتنفيذ البصر بالعزم. ص ٤٣

٢- للعقول سجيات وغرائز، بها تقبل الأدب، وبالأدب تنمي العقول، وتزكو. ص ٤٣

٣- الواصفون أكثر من العارفين، والعارفون أكثر من الفاعلين؛ فليُنظر امرؤ أين يضع نفسه. ص ٤٨

٤- على العاقل أن يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً، ذكراً مباشراً به القلوب، ويقدع الطماح؛ فإن في كثرة ذكر الموت عصمةً من الأشر، وأماناً. بإذن الله- من الهلع. ٥٣-٥٤

٥- على العاقل أن يحصي على نفسه مساوئها في الدين وفي الأخلاق وفي الآداب؛ فيجمع ذلك كله في صدره، أوفي كتاب، ثم يكثر عرضه على نفسه، ويكلفها إصلاحه، ويوظف ذلك عليها توظيفاً من إصلاح الخلّة والخلتين والخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر. فكلما أصلح شيئاً محاه، وكلما نظر إلى محو استبشر، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب. ٥٤

٦- على العاقل أن يؤنس ذوي الألباب بنفسه، ويجرّئهم عليها؛ حتى يصيروا حرساً على سمعه وبصره، ورأيه؛ فيستنيم إلى ذلك، ويريح له قلبه، ويعلم أنهم لا يغفلون عنه إذا هو غفل عن نفسه. ٥٥

٧- على العاقل- ما لم يكن مغلوباً على نفسه أن لا يشغله شغل عن أربع ساعات: ساعة يرفع فيها حاجته إلى ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه عند عيوبه وينصحونه في أمره، وساعة يخلي فيها بين نفسه وبين لذتها مما يحل ويجمل؛ فإن هذه الساعة عونٌ على الساعات الأخر، وإن استجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها، وفضل بلغة. ص ٥٦

٨- على العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث: تزود لمعاد، أو مرمّة

لمعاش ، أولذة في غير محرم. ص ٥٦

٩- على العاقل أن يجبن عن المضي على الرأي الذي لا يجد عليه موافقاً وإن

ظن أنه على اليقين. ص ٥٧

١٠- الدنيا دول فما كان لك منها أتك على ضعفك ، وما كان عليك لم

تدفعه بقوتك. ص ٦٠

١١- أشد الفاقة عدم العقل ، وأشد الوحدة وحدة اللجوج ، ولا مال أفضل

من العقل ، ولا أنيس أنس من الاستشارة. ص ٦١

١٢- كان يقال : إن الله- تعالى- قد يأمر بالشيء ويبتلي به بثقله ، وينهى عن

الشيء ، ويبتلي به بشهوته؛ فإذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيته ، ولا تترك

من الشر إلا ما كرهته- فقد أطلعت الشيطان على عورتك ، وأمكنته من رُمَّتكَ^(١)؛

فأوشك أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير؛ فيكرهه إليك ، وفيما تكره من

الشر فيحبه إليك.

ولكن ينبغي لك في حب ما تحب من الخير التحامل على ما يستثقل منه ،

وينبغي لك في كراهة ما تكره من الشر التجنب لما يحب منه. ص ٦٤

١٣- إذا هممت بخير فبادر هواك لا يغلبك ، وإذا هممت بشر فسوف هواك؛

لعلك تظفر؛ فإن ما مضى من الأيام والساعات على ذلك هو الغنم. ص ٦٩

١٤- العلم زين لصاحبه في الرخاء ، ومنجاة له في الشدة ، بالأدب تعمر

القلوب ، وبالعلم تستحكم الأحلام. ٦٩

١- الرمة : الحبل الذي يمكن أن يقودك به .

١٥- حياة الشيطان ترك العلم، وروحه وجسده الجهل، ومعدنه في أهل الحقد والقساوة، ومثواه في أهل الغضب، وعيشه في المصارمة^(١)، ورجاؤه في الإصرار على الذنوب. ص ٧٣

١٦- لا ينبغي للمرء أن يعتد بعلمه ورأيه ما لم يذكره ذوو الألباب، ولم يجامعوه عليه؛ فإنه لا يستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد. ص ٧٣

١٧- أعدل السير أن تقيس الناس بنفسك؛ فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك. ص ٧٣

١٨- أنفع العقل أن تحسن المعيشة فيما أوتيت من خير، وألا تكثر من الشر بما لم يصبك. ص ٧٣

١٩- حقُّ على العاقل أن يتخذ مرأتين، فينظر من إحداهما في مساوئ نفسه، فيتصاغر بها، ويصلح ما استطاع منها. وينظر في الأخرى في محاسن الناس، فيحليهم بها، ويأخذ ما استطاع منها. ص ٧٦

٢٠- لا يوقعنك بلاء خلصت منه في آخر لعلك لا تخلص منه. ص ٧٦

٢١- الورع لا يخدع، والأريب لا يُخدع. ص ٧٦

٢٢- المروءات تبع للعقل، والرأي تبع للتجربة، والغبطة تبع لحسن الثناء، والسرور تبع للأمن، والقراة تبع للمودة، والعمل تبع للقدر، والجدة تبع للإنفاق. ص ٧٨

١- المصارمة: المنازعة والخصام اللذان يؤديان إلى الشر.

- ٢٣- أصول العقل الثبت ، وثمرته السلامة ، وأصل الورع القناعة ، وثمرته الظفر ، وأصل التوفيق العمل ، وثمرته النُّجح. ص ٧٨
- ٢٤- لا يُذَكَّرُ الفاجر في العقلاء ، ولا الكذوب في الأعفاء ، ولا الخذول في الكرماء ، ولا الكفور بشيء من الخير. ص ٧٨
- ٢٥- لا تَوَاحِينَ خِبًّا- خداعاً- ولا تستنصرون عاجزاً ، ولا تستعينن كسلاً. ص ٧٨
- ٢٦- من أعظم ما يروح به المرء نفسه أن لا يجري لما يهوى وليس كائناً ، ولا لما لا يهوى وهو لا محالة كائن. ص ٧٨
- ٢٧- اغتنم من الخير ما تعجلت ، ومن الأهواء ما سوفت ، ومن النَّصَب ما عاد عليك ، ولا تفرح بالبطالة ، ولا تجبن عن العمل. ص ٧٩
- ٢٨- ذو العقل لا يستخف بأحد؛ فإنه من استخف بالأتقياء أهلك دينه ، ومن استخف بالولاة أهلك دنياه ، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته. ص ٧٩
- ٢٩- يسلم العاقل من عظام الذنوب والعيوب بالقناعة ومحاسبة النفس. ص ٨٠
- ٣٠- لا تجد العاقل يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يَعِدُ بما لا يجد إنجازَه ، ولا يرجو ما يُعَنَّفُ برجائه ، ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه. ص ٨٠
- ٣١- لا عقل لمن أغفله عن آخرته ما يجد من لذة دنياه ، وليس من العقل أن يجرمه حظه من الدنيا بصره بزوالها. ص ٨٠
- ٣٢- أغنى الناس أكثرهم إحساناً. ص ٨٢

٣٣- من أشد عيوب الإنسان خفاء عيوبه عليه؛ فإن من خفي عليه عيبه خفيت عليه محاسن غيره، ومن خفي عليه عيب نفسه ومحاسن غيره فلن يقلع عن عيبه الذي لا يعرف، ولن ينال محاسن غيره التي لا يبصر أبداً. ص ٨٢

٣٤- خمول الذكر أفضل من الذكر الذميم. ص ٨٢

٣٥- خصال يُسرُّ بها الجاهل كلها كائن وبالاً عليه، منها أن يفخر من العلم والمروءة بما ليس عنده، ومنها أن يرى بالأخيار من الاستهانة والجفوة ما يُشمتُّ بهم. ص ٨٢

٣٦- لا يؤمنك شر الجاهل قرابةً ولا جوار ولا إلف. ص ٨٤

٣٧- كان يقال: قارب عدوك بعض المقاربة تلج حاجتك، ولا تقاربك كل المقاربة؛ فيجتري عليك عدوك، وتذل نفسك، ويرغب عنك ناصرك. ص ٨٤

٣٨- الحازم لا يأمن عدوه على حال. ص ٨٥

٣٩- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحسين الأسرار. ص ٨٥

٤٠- المستشير وإن كان أفضل من المستشار رأياً فهو يزداد برأيه رأياً، كما تزداد النار بالودك ضوءاً. ص ٨٥

٤١- لا يطمعن ذو الكبر في حسن الثناء، ولا الخب في كثرة الصديق، ولا السيئ الأدب في الشرف، ولا الشحيح في المحمدة، ولا الحريص في الإخوان، ولا الملك المعجب بثبات الملك. ص ٨٥-٨٦

٤٢- صرعة اللين أشد استئصالاً من صرعة المكابرة. ص ٨٦

٤٣- أربعة أشياء لا يستقلُّ منها قليل: النار، والمرض، والعدو، والدِّين. ص ٨٦

٤٤- المودة بين الأخيار سريع اتصالها، بطيء انقطاعها، ومثل ذلك مثل

كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار، هيّن الإصلاح، والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها، بطيء اتصالها كالكوز الفخار يكسره أدنى عبث، ثم لا وصل له أبداً. ص ٨٧

٤٥- الكريم يمنح الرجل مودته عن لُقيّة واحدة، أو معرفة يوم، واللّيثم لا يصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة. ص ٨٧

٤٦- لا يتم حسن الكلام إلا بحسن العمل، كالمريض الذي علم دواء نفسه؛ فإذا هو لم يتداو به لم يغنه علمه. ص ٨٩

٤٧- الرجل ذو المروءة قد يكرم على غير مال، كالأسد الذي يهاب وإن كان عقيراً، والرجل الذي لا مروءة له يهان وإن كثر ماله كالكلب الذي يهون على الناس وإن طوّق وخُلخل. ص ٨٩-٩٠

٤٨- إن أولى الناس بفضل السرور وكرم العيش، وحسن الثناء- من لا يبرح رَحْلُهُ من إخوانه وأصدقائه من الصالحين مَوْطُوءاً، ولا يزال عنده منهم زحام، ويسرهم ويسرونه، ويكون من وراء حاجاتهم وأمورهم؛ فإن الكريم إذا عثر لم يستقل- أي لم يستطع النهوض- إلا بالكرام، كالفيل إذا وحل لم يستخرجه إلا الفيلة. ص ٩٠-٩١

٤٩- من المعونة على تسليّة الهموم، وسكون النفس- لقاء الأخ أخاه، وإفشاء كل واحد منهما إلى صاحبه بيته.

وإذا فرق بين الأليف وأليفه فقد سلب قراره، وحرّم سروره. ص ٩١

٥٠- قلّ ما ترانا نُخَلِّفُ عقبه من البلاء إلا صرنا في أخرى. ص ٩٢

ب: نقولات من كتاب الأدب الكبير لابن المقفع:

١- لا تترك مباشرة جسيم أمرك فيعود شأنك صغيراً، ولا تُلزِمَنَّ نفسك مباشرة الصغير فيصير الكبير ضائعاً. ص ١٠٤

٢- ابذل لصديقك دمك، ومالك، ولمعرفتك رفدك- عطاءك- ومحضرك- مشهدك-.

وللعامة بِشْرُكَ، وتحننك، ولعدوك عدلك وإنصافك، واضنن بدينك وعرضك على كل أحد. ص ١٣١

٣- إذا سمعت من صاحبك كلاماً، أو رأيت منه رأياً يعجبك- فلا يعجبك أن تنتحله تزيناً به عند الناس، واكتف من التزين بأن تجتني الصواب إذا سمعته، وتنسبه إلى صاحبه.

واعلم أن انتحالك ذلك مسخطة لصاحبك، وأن فيه مع ذلك عاراً وسخفاً. فإن بلغ بك ذلك أن تشير برأي الرجل، وتتكلم بكلامه وهو يسمع جمعت مع الظلم قلة الحياء.

وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس.

ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو نفسك لأخيك بما انتحل من كلامك ورأيك، وتنسب إليه رأيه وكلامه، وتزينه مع ذلك ما استطعت.

ص ١٣٢

٤- لا يكوننَّ من خلقك أن تبتدئ حديثاً ثم تقطعه وتقول: «سوف» كأنك

روأت^(١) فيه بعد ابتدائك إياه.

وليكن ترويك فيه قبل التفوه به؛ فإن احتجاج الحديث بعد افتتاحه سخف
وغم. ص ١٣٢

٥- اخزن عقلك وكلامك إلا عند إصابة الموضع؛ فإنه ليس في كل حين
يحسن كل صواب، وإنما تمام إصابة الرأي والقول بإصابة الموضع. ص ١٣٢
٦- ليعرف العلماء حين تجالسهم أنك على أن تسمع أحرص منك على أن
تقول. ص ١٣٢

٧- لا تخلطن بالجد هزلاً، ولا بالهزل جدّاً؛ فإنك إن خلطت بالجد هزلاً
هجنته، وإن خلطت بالهزل جدّاً كدّرتَه.
غير أنني قد علمت موطناً واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الجد بالهزل أصبت
الرأي، وظهرت على الأقران.

وذلك أن يتوردك متورد^(٢) بالسفه والغضب وسوء اللفظ تحببه إجابة الهازل
المداعب برحب من الدُّرْع، وطلاقة من الوجه، وثبات من المنطق. ص ١٣٣
٨- إذا رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنيك ذلك؛ فإنما هو أحد رجلين:
إن كان رجلاً من إخوان الثقة فأنفع مواطنه لك أقربها من عدوك لشر يكفه
عنك، أو لعورة يسترها منك، أو غائبه يطّلع عليها لك، فأما صديقك فما أغناك
أن يحضره ذو ثقتك.

١- أي أطلت النظر وتمهلت الجواب.

٢- يتوردك متورد: يملكك على أن تغتاز.

وإن كان رجلاً من غير خاصة إخوانك فبأي حق تقطعه عن الناس ، وتكلفه
ألا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى. ص ١٣٣

٩- تحفظ في مجلسك وكلامك من التطاول على الأصحاب ، وطب نفساً عن
كثير مما يعرض لك فيه صواب القول والرأي؛ مداراةً؛ لئلا يظن أصحابك أن
دأبك التطاول عليهم. ص ١٣٣-١٣٤

١٠- إذا أقبل عليك مقبل بودّه فسرك ألا يدبر عنك- فلا تنعم الإقبال عليه ،
والفتح له؛ فإن الإنسان طبع على ضرائب لؤم؛ فمن شأنه أن يرحل عمن لصق
به ، ويلصق بمن رحل عنه إلا من حفظ بالأدب نفسه ، وكابر طبعه؛ فتحفظ من
هذا فيك وفي غيرك. ص ١٣٤.

١١- وإن آنست من نفسك فضلاً فتحرّج أن تذكره ، أو تبديه ، واعلم أن
ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب أكثر مما يقرر لك
من الفضل.

واعلم أنك إن صبرت ، ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميل المعروف
عند الناس.

ولا يخفّن عليك أن حرص الرجل على إظهار ما عنده ، وقلة وقاره في ذلك -
باب من أبواب البخل واللؤم ، وأن خير الأعوان على ذلك - السخاء والتكرم.
ص ١٣٥

١٢- إذا رأيت رجلاً يحدث حديثاً قد علمته ، أو يخبر خبراً قد سمعته - فلا
تشاركه فيه ، ولا تتعقبه عليه؛ حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته؛ فإن في

ذلك خفةً، وشحاً، وسوء أدب، وسخفاً. ص ١٣٦

١٣- احفظ قول الحكيم الذي قال: لتكون غايتك فيما بينك وبين عدوك

العدل، وفيما بينك وبين صديقك الرضاء. ص ١٣٦

١٤- لا تعتذرن إلا إلى من يجب أن يجد لك عذراً، ولا تستعينن إلا بمن يجب

أن يُظْفِرْك بحاجتك، ولا تحدثن إلا من يرى حديثك مغنماً، ما لم يغلبك

اضطرار. ص ١٤٠

١٥- إذا اعتذر إليك معتذر فتلقه بوجه مشرق، وبشرٍ ولسانٍ طلقٍ إلا أن

يكون ممن قطيعته غنيمة. ص ١٤٠

١٦- إذا غرست من المعروف غرساً، وأنفقت عليه نفقة فلا تضنن في تربية ما

غرست واستنمائه، فتذهب النفقة الأولى ضياعاً. ص ١٤٠

١٧- إذا كانت لك عند أحد صنعة، أو كان لك عليه طولٌ - فالتمس إحياء

ذلك بإماتته، وتعظيمه بالتصغير له.

ولا تقتصرن في قلبه المن به على أن تقول: لا أذكره، ولا أصغي بسمعي إلى

من يذكره؛ فإن هذا قد يستحي منه بعض من لا يوصف بفعل ولا كرم.

ولكن احذر أن يكون في مجالستك إياه، وما تكلمه به، أو تستعينه عليه، أو

تجاريه فيه شيء من الاستطالة؛ فإن الاستطالة تهدم الصنعة، وتكدر المعروف.

ص ١٤١ - ١٤٢

١٨- احترس من سورة الغضب، وسورة الحمية، وسورة الحقد، وسورة الجهل.

وأعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها من الحلم والتفكر، والروية،

وذكر العاقبة ، وطلب الفضيلة. ص ١٤٢

١٩- ذلل نفسك بالصبر على جار السوء ، وعشير السوء ، وجليس السوء؛

فإن ذلك مما لا يكاد يخطئك. ص ١٤٣

٢٠- اللثام أصبر أجساداً ، والكرام أصبر نفوساً. ص ١٤٣

٢١- الصبر الممدوح أن يكون للنفس غلباً ، وللأمر محتملاً ، وفي الضراء متجماً ، ولنفسه عند الرأي والحفاظ^(١) مرتبطاً ، وللحزم مؤثراً ، وللهوى تاركاً ، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفاً ، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً ، ولبصيرته بعزيمته منفذاً. ص ١٤٣

٢٢- عود نفسك السخاء ، واعلم أنه سخاءان: سخاوة نفس الرجل بما في يديه ، وسخاوته عما في أيدي الناس.

وسخاوة نفس الرجل بما في يديه أكثرهما وأقربهما من أن تدخل فيه المفاخرة ، وتركه ما في أيدي الناس أمحض في التكرم ، وأبرأ من الدنس؛ فإن هو جمعهما فبذل ، وعف فقد استكمل الجود والكرم. ص ١٤٤

٢٣- ليكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً؛ فإن الحسد خلق لئيم ، ومن لؤمه أنه موكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب ، والأكفاء والمعارف والخلطاء والإخوان. ص ١٤٤

٢٤- لا تتخذن اللعن والشتم على عدوك سلاحاً؛ فإنه لا يجرح في نفس ،

ولا منزلة ، ولا مال ، ولا دين. ص ١٤٦

٢٥- إذا أردت أن تكون داهياً فلا تُحِبَّ أن تسمى داهياً؛ فإن من عرف

١- الغضب .

بالدهاء خاتل علانية ، وحذره الناس ، حتى يمتنع منه الضعيف ، ويتعرض له القوي. ص ١٤٦

٢٦- إن من إرب الأريب دفن إربه ما استطاع؛ حتى يعرف بالمساحة في الخليقة ، والاستقامة في الطريقة. ص ١٤٧

٢٧- إذا أردت السلامة فأشعر قلبك الهيبة للأمور من غير أن تظهر منك الهيبة ، فتفطن الناس بنفسك ، وتجرّتهم عليك ، وتدعو إليك منهم كل الذي تهاب.

فأشعب^(١) لمدارة ذلك من كتمان الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون - طائفة من رأيك. ص ١٤٧

٢٨- اعلم أن من أوقع الأمور في الدين ، وأنهكها للجسد ، وأتلفها للمال ، وأقتلها للعقل ، وأزراها للمروءة ، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار - الغرام بالنساء.

ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم^(٢) ما عنده ، وتطمح عيناه إلى ما ليس عنده منهن ، وإنما النساء أشباه. ص ١٤٩

٢٩- ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس بلبه ورأيه يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها؛ فيصوّر لها في قلبه الحسن والجمال ، حتى تعلّقها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ، ثم لعله يهجم منها على أقبح القبح ، وأدّم الدمامة؛ فلا

١- أشعب: اجعل .

٢- يأجم: يمل .

يعظه ذلك ، ولا يقطعه عن أمثالها ، ولا يزال مشغولاً بما لم يذق ، حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن أن لها شأناً غير شأن ما ذاق.

وهذا هو الحمق ، والشقاء ، والسفه. ص ١٥٠

٣٠- إن استطعت أن تضع نفسك دون غايتك في كل مجلس ، ومقام ، ومقال ، ورأي ، وفعل - فافعل ؛ فإن رفع الناس إياك فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك ، وتقريبهم إياك إلى المجلس الذي تباعدت منه ، وتعظيمهم من أمرك ما لم تُعظم ، وتزيينهم من كلامك ورأيك وفعلك ما لم تزيّن - هو الجمال. ص ١٥١

٣١- احذر المراء ، وأغربه^(١) ، ولا يمنعنك حذرُ المراء من حسن المناظرة

والمجادلة. ص ١٥١

٣٢- اعلم أنك ستبتلى من أقوام بسفه ، وأن سفه السفه سيطلع له منك حقداً؛ فإن عارضته ، أو كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما أتى به؛ فأحببت أن تحتذي على مثاله؛ فإن كان ذلك عندك مذموماً فحقق ذمك إياه بترك معارضته.

فأما أن تدمه ، وتمثله فليس في ذلك لك سداد. ص ١٥٥

٣٣- لا تلتمس غلبةً صاحبك ، والظفر عليه عند كل كلمة ورأي ، ولا

تجترئن على تقريره بظفرك إذا استبان ، وحجتك عليه إذا وضحت. ص ١٥٦

٣٤- إذا أُكْرِمت على دين أو مروءة فذلك فليعجبك؛ فإن المروءة لا تزايلك

في الدنيا ، وإن الدين لا يزايلك في الآخرة. ص ١٥٦

٣٥- اعلم أن الجبن مقتلة ، وأن الحرص محرمة. ص ١٥٦

١- أغربه : أبعده .

- ٣٦- إذا بدهك أمران لا تدري أيهما أصوب فانظر أيهما أقرب إلى هواك فخالقه؛ فإن أكثر الصواب في خلاف الهوى. ص ١٥٨
- ٣٧- لطفك بصاحب صديقك أحسن عنده موقعاً من لطفك به في نفسه. ص ١٥٩
- ٣٨- اتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق، ويشكر للمكسب. ص ١٥٩
- ٣٩- البُغْضَةُ خوف، والمودة أمن. ص ١٥٩
- ٤٠- اعلم أن المستشار ليس بكفيل، وأن الرأي ليس بمضمون. ص ١٦٠
- ٤١- إذا أشار عليك صاحبك برأي ثم لم تجد عاقبته على ما كنت تأمل - فلا تجعل ذلك عليه ذنباً، ولا تلزمه لوماً وعذلاً. ص ١٦٠
- ٤٢- إذا كنت أنت المشير فعمل برأيك أو تركه فبدا صوابك - فلا تمنن به، ولا تكثرن ذكره إن كان فيه نجاح، ولا تلمه عليه إن كان قد استبان في تركه ضرر بأن تقول: ألم أقل لك: افعل هذا؛ فإن هذا مجانب لأدب الحكماء. ص ١٦٠
- ٤٣- تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول. ص ١٦٠
- ٤٤- إذا كنت في جماعة قوم أبداً فلا تعمّن جيلاً من الناس، أو أمة من الأمم بشتهم ولا ذم؛ فإنك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك مخطئاً؛ فلا تأمن مكافئتهم، أو متعمداً؛ فتنسب إلى السفه.
- ولا تذمن - مع ذلك - اسماً من أسماء الرجال أو النساء بأن تقول: إن هذا

لقبيح من الأسماء؛ فإنك لا تدري لعل ذلك غير موافق لبعض جلسائك، ولعله يكون بعض أسماء الأهلين والحُرَم.

ولا تستصغرن من هذا شيئاً؛ فكل ذلك يجرح القلب، وجرح اللسان أشد من جرح اليد. ص ١٦٢

٤٥- اعلم أن بعض شدة الحذر عونٌ عليك في ما تحذر، وأن بعض شدة الالتقاء مما يدعو إليك ما تتقي. ص ١٦٣

٤٦- واعلم أن الناس يخدعون أنفسهم بالتعريض والتوقيع بالرجال في التماس مثالبهم ومساوئهم ونقيصتهم.

وكل ذلك أبين عند سامعيه من وضح الصبح؛ فلا تكونن من ذلك في غرور، ولا تجعل نفسك من أهله. ص ١٦٣

٤٧- اعلم أن من تنكب^(١) الأمور ما يسمى حذراً ومنه ما يسمى خوراً؛ فإن استطعت أن يكون جيبك في الأمر قبل موافقتك إياه فافعل؛ فإن هذا الحذر.

ولا تنغمس فيه ثم تنهيته؛ فإن هذا هو الخور؛ فإن الحكيم لا يخوض نهراً حتى يعلم مقدار غوره. ص ١٦٣

١- التنكب: التباعد.

ثانياً: نقولات مختارة من كتاب:

صيد الخاطر لابن الجوزي ت: ٥٩٧

تحقيق عامر بن علي ياسين دار ابن خزيمة

«تعريف موجز بالكتاب» :

صيد الخاطر من أشهر كتب ابن الجوزي المولود رحمته الله سنة ٥٠٨ أو ٥٠٩ ، أو ٥١٠.

وهذا الكتاب روضة غناء ، وارفة الظلال ، دانية القطوف ، متنوعة الثمار.
وهذا الكتاب لا يختص بموضوع أو فن معين ، بل هو متنوع الموضوعات ،
متعدد الفنون؛ ففيه تذكير ، وتحذير ، ونصح وإرشاد ، وتوجيه لأهل العلم
والعبادة ، وكلام على الزواج ، وأسراره ، وعلاقة الرجل بالمرأة.
وفيه تحذير من الفتن ، والذنوب ، والمعاصي.
وفيه وعظ يلين القلوب ، ويدينها من علام الغيوب.
وفيه حث على إصلاح السرائر ، ومراقبة الخلوات ، وتجنب الريب ، والموبقات.
وفيه حديث عن الحكم والمصالح ، والحذر من الغفلة ، إلى غير ذلك مما فيه
صلاح المعاش والمعاد.
كل ذلك بعبارة مشرقة ، وبيان خلاب.

«نقولات مختارة من كتاب صيد الخاطر» :

١- من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ، ومن ادعى الصبر وكِلَ إلى نفسه ،

ورب نظرة لم تناظر^(١).

وأحق الأشياء بالضبط والقهر: اللسان، والعين؛ فإياك أن تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقارنة الفتنة؛ فإن الهوى مُكَايِد، وكم من شجاع في صف الحرب اغتيل، فأتاه ما لم يحتسب، ممن يأنف النظر إليه. ص ٤١

٢- ما رأيت أعظم فتنة من مقارنة الفتنة، وقل أن يقاربها إلا من يقع فيها، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. ص ٣٥٠

فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين^(٢)
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى موافقة النفس وبدء الهوى طموح العين
٣- فكل ظالم معاقب في العاجل على ظلمه قبل الآجل، وكذلك كل مذنّب ذنباً، وهو معنى قوله - تعالى -: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ ﴾ النساء ١٢٣.

وربما رأى العاصي سلامة بدنه؛ فظن ألا عقوبة، وغفلته عما عوقب به عقوبة.

وقد قال الحكماء: المعصية بعد المعصية عقاب المعصية، والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة.

وربما كان العقاب العاجل معنوياً، كما قال بعض أحبار بني إسرائيل: يا رب! كم أعصيك، ولا تعاقبني؟ فقل له: كم أعاقبك، وأنت لا تدري؟ أليس

١- أي لم تهمل؛ فأصابته بسهم، أو أوقعته في فتنة.

٢- الحين: الهلاك.

قد حرمتك حلاوة مناجاتي؟ ص ١٠٣ - ١٠٤.

٤- الواجب على العاقل أن يحذر مغبة المعاصي؛ فإن نارها تحت الرماد، وربما تأخرت العقوبة، وربما جاءت مستعجلة. ص ٣٣٩

٥- قد تَبَغَّتْ العقوبات، وقد يؤخرها الحلم، والعاقل من إذا فعل خطيئة بادرها بالتوبة؛ فكم مغرور يأمهال العصاة لم يمهل.

وأسرع المعاصي عقوبةً ما خلا عن لذة تنسي النُهي، فتكون كالمعاندة، والمبارزة، فإن كانت اعتراضاً على الخالق، أو منازعة له في عظمته، فتلك التي لا تُتلافى، خصوصاً إذا وقعت من عارف بالله؛ فإنه يندر إهماله. ص ٥٠٠

٦- أعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، و تأميله الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهى ولا للاغترار حد؛ فكلما أصبح وأمسى معافى زاد الاغترار، وطال الأمل. ص ٥٣٢

٧- نظرت في الأدلة على الحق - سبحانه وتعالى - فوجدتها أكثر من الرمل، ورأيت من أعجبها: أن الإنسان يخفي مالا ير ضاه الله - عز وجل - فيظهره الله - سبحانه - عليه، ولو بعد حين، ويُنطق به الألسنة وإن لم يشاهده الناس، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق؛ فيكون جواباً لكل ما أخفى من الذنوب؛ وذلك ليعلم الناس أن هنالك من يجازي على الزلل، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب، ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل.

وكذلك يخفي الإنسان الطاعة، فتظهر عليه، ويتحدث الناس بها، وبأكثر منها، حتى إنهم لا يعرفون له ذنباً، ولا يذكرونه إلا بالمحسن؛ ليعلم أن هنالك

رباً لا يُضَيِّعَ عَمَلَ عاملٍ.

وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص، وتجه، أو تأباه، وتذمه، أو تمدحه وفق ما يتحقق بينه وبين الله - تعالى - فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر. وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون أن ينظر إلى الحق إلا انعكس مقصوده وعاد حامده ذاماً. ص ١٠٨ - ١٠٩

٨- إن للخلوة تأثيرات تَبَيَّنُ في الخلوة؛ كم من مؤمن بالله - عز وجل - يحترمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذراً من عقابه، أو رجاء لثوابه، أو إجلالاً له؛ فيكون بذلك الفعل كأنه طرح عوداً هندياً على مجمر، فيفوح طيبه، فيستنشقه الخلائق، ولا يدرون أين هو.

وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يهوى تقوى محبته، أو على مقدار زيادة دفع ذلك المحبوب المتروك يزيد الطيب، ويتفاوت تفاوت العود.

فترى عيون الخلق تعظم هذا الشخص، وألستهم تمدحه، ولا يعرفون ولا يقدرّون على وصفه؛ لبعدهم عن حقيقة معرفته.

وقد تمتد هذه الأرايح^(١) بعد الموت على قدرها؛ فمنهم من يذكر بالخير مدة مديدة، ثم ينسى، ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره، وقبره^(٢)، ومنهم أعلام يبقى ذكرهم أبداً.

وعلى عكس هذا من هاب الخلق، ولم يحترم خلوته بالحق؛ فإنه على قدر

١- الأرايح: يعني الروائح الزكية.

٢- لا يضره إن خفي قبره.

مبارزته بالذنوب ، وعلى مقادير تلك الذنوب يفوح منه ريح الكراهة؛ فتمقتة القلوب؛ فإن قل مقدار ما جنى قل ذكر الألسن له بالخير، وبقي مجرد تعظيمه وإن كثر كان قصارى الأمر سكوت الناس عنه، لا يمدحونه ولا يذموناه.

ص ٣٠١ - ٣٠٢

٩- إنه بقدر إجلالكم لله - عز وجل - يجلكم بمقدار تعظيم قدره واحترامه يُعْظِمُ أقداركم ، وحرمتكم.

ولقد رأيت - والله - من أنفق عمره في العلم إلى أن كبرت سنه ، ثم تعدى الحدود؛ فهان عند الخلق ، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه ، وقوة مجاهدته. ولقد رأيت من يراقب الله - عز وجل - في صبوته مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم؛ فعظم الله قدره في القلوب ، حتى عَلِقَتْهُ^(١) ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير.

ورأيت من كان يرى الاستقامة إذا استقام ، وإذا زاغ مال عنه اللطف. ولولا عموم الستر ، وشمول رحمة الكريم - لافتضح هؤلاء المذكورون ، غير أنه في الأغلب تأديب ، أو تُلطف في العقاب. ص ٣٣٦ - ٣٣٧

١٠- في قوة قَهْرِ الهوى لذة تزيد على كل لذة؛ ألا ترى إلى كل مغلوب بالهوى كيف يكون ذليلاً؛ لأنه قُهرَ ، بخلاف غالب الهوى؛ فإنه يكون قوي القلب عزيزاً؛ لأنه قَهَر. ص ١١٥

١١- بالله عليك! يا مرفوع القدر بالتقوى ، لا تبع عزها بذل المعاصي ،

١ - يعني أحبته ، وتعلقت به.

وصابر عطش الهوى في هجير المشتهى ، وإن أمضٍ وأرمض^(١). ص ٢٥٢

١٢- بالله عليك! تذوق حلاوة الكف عن المنهي؛ فإنها شجرة تثمر عز الدنيا وشرف الآخرة، ومتى اشتد عطشك إلى ما تهوى فابسط أنامل الرجاء إلى من عنده الرّئيُّ الكامل، وقل:

«قَدْ عِيلَ صَبْرُ الطَّبْعِ فِي سَنِيهِ الْعَجَافِ؛ فَعَجَلَ لِي الْعَامَ الَّذِي فِيهِ أُغَاثُ وَأَعْصِرُ». ص ٢٥٣

١٣- إخواني! احذروا لجة هذا البحر، ولا تغتروا بسكونه، وعليكم بالساحل، ولازموا حصن التقوى؛ فالعقوبة مرة واعلموا أن في ملازمة التقوى مرارات من فقد الأغراض، والمشتهيات غير أنها في ضرب المثل كالحِمِيَةِ تُعْقِبُ صحة، والتخليط ربما جلب موت الفجأة. ص ٣١٥

١٤- ما من عبد أطلق نفسه في شيء ينافي التقوى - وإن قل - إلا وجد عقوبته عاجلة، أو آجلة.

ومن الاغترار أن تسيء؛ فترى إحساناً؛ فتظن أنك قد سوحت، وتنسى:

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ النساء: ١٢٣ ص ٣١٣

١٥- واعلم أن من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب؛ فإن العقوبة تتأخر، ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها، وأن تكون في سلب الدين وطمس القلوب، وسوء الاختيار للنفس؛ فيكون من آثارها سلامة البدن، وبلوغ الأغراض. ص ٣١٤ - ٣١٥

١- أمض: آلم، وأرمض: أحرق.

- ١٦- فالحذر الحذر من عواقب الخطايا ، والبدارَ البدارَ إلى محوها بالإنبابة؛ فلها تأثيرات قبيحة إن أسرع ، وإلا اجتمعت ، وجاءت. ص ٥٠٢
- ١٧- لو ميز العاقل بين قضاء وطره لحظة ، وانقضاء باقي العمر بالحسرة على قضاء ذلك الوطر- لما قرب منه ، ولو أعطي الدنيا ، غير أن سكرة الهوى تحول بين الفكر وبين ذلك. ص ٣٢١
- ١٨- فأجود الأشياء قطع أسباب الفتن ، وترك الترخص فيما يجوز إذا كان حاملاً ومؤدياً إلى مالا يجوز. ص ٣٥١
- ١٩- فإياك أن تنظر إلى صورة نعيمهم يعني - أرباب الدنيا - فإنك تستطيع لبعده عنك ، ولو قد بلغته كرهته ، ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة مالا يوصف؛ فعليك بالقناعة مهما أمكن؛ ففيها سلامة الدنيا والدين.
- وقد قيل لبعض الزهاد - وعنده خبز يابس - : كيف تشتهي هذا؟ فقال : أتركه حتى أشتهيه. ص ٣٧٢
- ٢٠- إخواني! لنفسي أقول؛ فمن له شربٌ معي فَلْيَرِدْ: أيتها النفس! لقد أعطاك الله مالم تؤمل ، وبلغك مالم تطلب ، وستر عليك من قبيحك ما لو فاح ضجت المشامُ،^(١) فما هذا الضجيج من فوات كمال الأغراض أملوكة أنت أم حرة؟! أما علمت أنك في دار التكليف؟! وهذا الخطاب ينبغي أن يكون للجهاال؛ فأين دعواك المعرفة؟! أترأه لو هبت نفحة فأخذت البصر ، كيف كانت تطيب لك الدنيا؟!

١ - المشام : الأنوف.

وا أسفاً عليك! لقد عشتِ البصيرة التي هي أشرف، وما علمت كم أقول :
عسى ، ولعل ، وأنت في الخطأ إلى قدام.

قربتُ سفينة العمر من ساحل القبر، ومالك في المركب بضاعة تريح ، تلاعبت
في بحر العمر ريح الضعف؛ فغرقتُ تلفيق القوى ، وكأن قد فصلت المركب ، بلغت
نهاية الأجل ، وعين هواك تتلفت إلى الصبا!

بالله عليك ، لا تُشمِتي بك الأعداء!

هذا أقل الأقسام ، وأوفى منها أن أقول : بالله عليك لا يفوتتك قدم سابق مع
قدرتك على قطع المضمار.

الخلوة الخلوة ، واستحضري قرين العقل ، وجولي في حيرة الفكر ، واستدركي
صُباة الأجل قبل أن تميل بك الصُباة ^(١) عن الصواب.

واعجبا! كلما صعد العمرُ نزلت! وكلما جد الموتُ هزلت!

أتراك ممن خُتم له بفتنة ، وقضيت عليه عند آخر عمره المحنة؟!

كان أولُ عُمرِك خيراً من الأخير ، كنت في زمن الشباب أصلح في زمن أيام
المشيب... ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ العنكبوت: ٤٣

نسأل الله _ عز وجل _ ما لا يحصل إلا به ، وهو توفيقه؛ إنه سميع مجيب.

ص ٣٤٠ - ٣٤٢.

٢١_ ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف ، وأسلم على
يدي أكثر من مائتي نفس ، وكم سالت عين متكبر بوعظي لم تكن تسيل ، ويحق

١ _ صُباة الأجل : بقية العمر ، والصُباة : الهوى.

لمن تَلَمَّحَ هذا أن يرجو التمام.

وربما لاحت أسباب الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي.

ولقد جلستُ يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا مَنْ رَقَّ قلبه ، أو دمعت عينه فقلت لنفسي : كيف بك إن نجوا وهلكتِ؟! فصحت بلسان وَجْدِي : إلهي وسيدي! إن قضيت عليّ بالعذاب غداً فلا تعلمهم بعذابي؛ صيانة لكرمك ، لا لأجلي؛ لأن لا يقولوا عَذَّبَ من دلَّ عليه.

إلهي قد قيل لنبيك ﷺ اقتل ابن أبي المنافق فقال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ».

إلهي! فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تُعلمهم بعذاب الدليل عليك^(١)،

حاشاك - والله يارب - من تكدير الصافي. ص ٣٤٠-٣٤٢

٢٢- بلغني عن بعض فساق القدماء أنه كان يقول : ما أرى العيش غير أن تتبع النفس هواها ، فمخطئاً ، أو مصيباً.

فتدبرت حال هذا وإذا به ميت النفس ، ليس له أنفة على عرضه ، ولا خوف عار ، ومثل هذا ليس في مسلاخ^(٢) الآدميين. ص ٤٩٩

٢٣- قد جاء في الأثر : اللهم أرنا الأشياء كما هي.

وهذا كلام حسن غايةً ، وأكثر الناس لا يرون الأشياء بعينها؛ فإنهم يرون الفاني كأنه باقٍ ، ولا يكادون يتخيلون زوال ما هم فيه - وإن علموا ذلك - إلا أن

١ - يعني ابن الجوزي نفسه.

٢ - مسلاخ : جلد

عين الحس مشغولة بالنظر إلى الحاضر، ألا ترى زوال اللذة، وبقاء إثمتها. ص ٦٦٨

٢٤- تذكرت في سبب دخول جهنم فإذا هو المعاصي، فنظرت في المعاصي فإذا هي حاصلة في طلب اللذات، فنظرت في اللذات فإذا هي خدعٌ ليست بشيء، وفي ضمنها من الأكدار ما يصيرها نغصاً، فتخرج عن كونها لذاتٍ؛ فكيف يتبع العاقل نفسه، ويرضى بجهنم؛ لأجل هذه الأكدار؟. ص ٦٨٤

٢٥- إنما فضل العقل بتأمل العواقب، فأما القليل العقل فإنه يرى الحال الحاضرة، ولا ينظر إلى عاقبتها؛ فإن اللص يرى أخذ المال، وينسى قطع اليد، والبطال يرى لذة الراحة، وينسى ما تجني من فوات العلم، وكسب المال؛ فإذا كبر، فسئل عن علم لم يدر، وإذا احتاج سأل، فذل؛ فقد أربى ما حصل له من التأسف على لذة البطالة، ثم يفوته ثواب الآخرة بترك العمل في الدنيا.

وكذلك شارب الخمر يلتذ تلك الساعة، وينسى ما يجني من الآفات في الدنيا، والآخرة.

وكذلك الزنا فإن الإنسان يرى قضاء الشهوة، وينسى ما يجني من فضيحة الدنيا والحد، وربما كان للمرأة زوج، فألحقت الحمل من هذا به، وتسلسل الأمر.

فقس على هذه النبذة، وانتبه للعواقب، ولا تؤثر لذة تُفوت خيراً كثيراً، وصابر المشقة تُحصِّل رجاً وافراً. ص ٧٥٤ - ٧٥٥

٢٦- من تفكر في عواقب الدنيا أخذ الحذر، ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر. ص ٤٠

٢٧- رأيت كثيراً من الناس يتحرزون من رَشاسِ نجاسةٍ، أولاً يتحاشون من

غيبية، ويكثرُونَ من الصَّدَقَةِ ولا يُبالونَ بمعاملاتِ الرِّبَا، ويتَهَجَّدونَ بالليل ويؤخِّرونَ الفريضةَ عن الوقتِ في أشياء يطول عدُّها من حفظِ فروعٍ وتضييعِ أصولٍ؛ فبحثت عن سبب ذلك، فوجدته من شيئين: أحدهما: العادة.

والثاني: غلبةُ الهوى في تحصيل المطلوب؛ فإنه قد يغلبُ فلا يتركُ سَمْعاً ولا بَصْراً. ص ٢٩٠

٢٨- مَنْ رُزِقَ قَلْباً طَيِّباً، وَلَذَّةَ مَنَاجاةٍ فَليراعِ حاله، وَلْيَتَحَرَّزْ مِنَ التَّغْيِيرِ، وَإِنَّمَا تدوم حاله بدوام التَّقْوَى. ص ٦٤٣

٢٩- مِنَ المَخَاطِرِ العَظِيمَةِ تَحْدِيثُ العَوَامِّ بِمَا لَا تَحْتَمِلُهُ قُلُوبُهُمْ، أَوْ بِمَا قَدْ رَسَخَ فِي نَفُوسِهِمْ ضَدُّهُ. ص ٦٧٤

٣٠- فَاللهُ اللهُ أَنَّ تَحَدُّثَ مَخْلُوقٍ مِنَ العَوَامِّ بِمَا لَا يَتَحَمَلُهُ دُونَ احتيالٍ وتلطفٍ؛ فإنه لا يزول ما في نفسه، أو يخاطر المحدث له بنفسه. ص ٦٧٥

٣١- مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ، فَظَنَّهُ كَافِياً اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ، وَصَارَ تَعْظِيمُهُ لِنَفْسِهِ مَانِعاً لَهُ مِنَ الاسْتِفَادَةِ، وَالْمَذَاكِرَةُ تُبَيِّنُ لَهُ خَطَأَهُ، وَرَبَّمَا كَانَ مَعْظَمُ النُّفُوسِ فَلَمْ يُتَجَاسَرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّهُ أَظْهَرَ الاسْتِفَادَةَ لِأَهْدِيَتْ إِلَيْهِ مَسَاوِيهِ؛ فَعَادَ عَنْهَا. ص ٢٠٦- ٢٠٧

٣٢- غَيْرَ أَنَّ اقْتِصَارَ الرَّجُلِ عَلَى عِلْمِهِ إِذَا مَازَجَهُ نَوْعُ رُؤْيَا لِنَفْسٍ حَبَسَ عَنْ إدراكِ الصَّوَابِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. ص ٢٠٨

٣٣- يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ فِي الْخُلُوةِ عَنْ أَحَدٍ بِشَيْءٍ حَتَّى يَمِثِّلَ ذَلِكَ

- الشيء ظاهراً مُعلنًا به ثم ينظر فيما يجني. ص ٤٥٣
- ٣٤- مما أفادتني تجاربُ الزمان أنه لا ينبغي لأحد أن يظاهر بالعداوة أحداً ما استطاع؛ لأنه ربما يحتاج إليه مهما كانت منزلته.
- ولقد احتجتُ في عمري إلى ملاطفة أقوام ما خطر لي قط وقوعُ الحاجة إلى التلطف بهم. ص ٣٦٩
- ٣٥- اعلم أن المظاهرة بالعداوة قد تجلب أذىً من حيث لا يعلم، لأن المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضرباً، وقد يلوح منه مضربٌ خفيٌّ إن اجتهد المتدرب في ستر نفسه، فيغتتمه ذلك العدو.
- فينبغي لمن عاش في الدنيا أن يجتهد في أن لا يظاهر بالعداوة أحداً؛ لما بيّنتُ من وقوع احتياج الخلق بعضهم إلى بعض، وإقدار بعضهم على ضرر بعض.
- وهذا فصل مفيد، تبيينُ فائدته للإنسان مع تقلب الزمان. ص ٣٦٩ - ٣٧٠
- ٣٦- رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة؛ لأنني أشافه في عمري عدداً من المعلمين، وأشافه بتصنيفي خلقاً لا تحصى ما خلقوا بعد.
- ودليل هذا أن انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من انتفاعهم بما يستفيدون من مشايخهم. ص ٣٨٦
- ٣٧- فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد؛ فإنه ليس كل من صَنَّفَ صَنَّفَ، وليس المقصود جمع شيء كيف كان، وإنما هي أسرار يطلع الله - عز وجل - عليها من شاء من عباده ويوفقه لكشفها؛ فيجمع ما

فُرقَّ، أو يرتب ماشئتَ، أو يشرح ما أهمل، هذا هو التصنيف المفيد. ص ٣٨٦
 ٣٨- ومتى رزق العالمُ الغنى عن الناس والخلوة؛ فإن كان له فهم يجلب
 التصانيف؛ فقد تكاملت لذته، وإن رزق فهماً يرتقي إلى معاملة الحق ومناجاته
 فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات. ص ٣٩٤

٣٩- فإياك أن تسكن من آذيته، بل إن كان ولا بد فمن خارج، فما تؤمن
 الأحقاد. ص ٤٣٢

٤٠- ومن الخور إظهار العداوة للعدو. ص ٤٣٢
 ٤١- ومن أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر شوكتهم، ولو
 لم يمكن ذاك كان اللطف سبباً في كفِّ أكفَّهم عن الأذى، وفيهم من يستحي
 لحسن فعلك؛ فيتغير قلبه لك. ص ٤٣٢
 ٤٢- رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم؛ فإذا ظهر؛ عاتبوا من
 أخبروا به.

فوا عجباً! كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً، ثم لاموا من أفشاه؟! ص ٤٣٣
 ٤٣- ستر المصائب من جملة السر، لأن إظهارها يسر الشامت، ويؤلم المحب.
 ص ٤٣٤

٤٤- الحازم من عامل الناس بالظاهر، فلا يضيق صدره بسره؛ فإن فارقت
 امرأة أو صديق أو خادم - لم يقدر أحدٌ منهم أن يقول فيه ما يكره. ص ٤٣٥
 ٤٥- من خلق له عقل ثاقب دلَّه على الصواب قبل الوصايا. ص ٤٣٥
 ٤٦- ما أبله من لا يعلم متى يأتيه الموت؛ وهو لا يستعد للقاءه! ص ٤٣٨

٤٧_ لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها، وما اللذة فيها إلا شرف العلم، وزهرة العفة، وأنفة الحمية، وعز القناعة، وحلاوة الإفضال على الخلق. ص ٤٤٢

٤٨_ متى رأيت صاحبك قد غضب، وأخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي أن تعقد على ما يقول خنصراً - أي لا تأخذ ما يقول بعين الاعتبار - ولا أن تؤاخذ به؛ فإن حاله حال السكران، لا يدري ما يجري، بل اصبر لفورته، ولا تعول عليها؛ فإن الشيطان قد غلبه، والطبع قد هاج، والعقل قد استتر.

ومتى أخذت في نفسك عليه، وأجبتة بمقتضى فعله كنت كعاقل واجه مجنوناً، أو كمفنيق عاتب مغمى عليه، فالذنب لك.

بل انظر بعين الرحمة، وتلمح تصريف القدر له، وتفرج في لعب الطبع به، واعلم أنه إذا انتبه ندم على ما جرى، وعرف لك فضل الصبر.

وأقل الأقسام أن تسلمه فيما يفعل في غضبه إلى ما يستريح به.

وهذه الحالة ينبغي أن يتعلمها الولد عند غضب الوالد، والزوجة عند غضب الزوج؛ فتتركه يشتهي بما يقول، ولا تعول على ذلك؛ فسيعود نادماً معتذراً.

ومتى قوبل على حالته، ومقالته، صارت العداوة متمكنة، وجازى في الإفاقة على ما فعل في حقه وقت السكر.

وأكثر الناس على غير هذا الطريق؛ متى رأوا غضباناً قابله بما يقول ويعمل، وهذا على غير مقتضى الحكمة، بل الحكمة ما ذكرته ﴿وَمَا يَعْقُلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾.

ص ٤٦٨ - ٤٦٩

٤٩_ كل من لا يتلمح العواقب، ولا يستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل ص ٤٧٠

- ٥٠- فالعاقل من أخذ بالحزم في تصوير ما يجوز وقوعه ، وعمل بمقتضى ذلك؛ فإن امتد به الأجل لم يضره ، وإن وقع المخوف كان محترزاً. ص ٤٧١
- ٥١- بقدر صعود الإنسان في الدنيا تنزل رتبته في الآخرة. ص ٤٧١
- ٥٢- الكمال عزيز ، والكمال قليل الوجود.
- فأول أسباب الكمال : تناسب الأعضاء ، وحسن صورة الباطن ؛ فصورة البدن تسمى خُلُقاً ، وصورة الباطن تسمى خُلُقاً.
- ودليل كمال صورة البدن : حسن الصمت ، واستعمال الأدب.
- ودليل صورة الباطن : حسن الطبائع ، والأخلاق ؛ فالطبائع : العفة ، والنزاهة ، والأنفة من الجهل ، ومباعدة الشر.
- والأخلاق : الكرم ، والإيثار ، وستر العيوب ، وابتداء المعروف ، والحلم عن الجاهل.
- فمن رزق هذه الأشياء : رَقَّتْهُ إلى الكمال ، وظهر عنه أشرف الخلال ، وإن نقصت خلة أوجب نقص. ص ٤٧٧
- ٥٣- من الابتلاء العظيم إقامة الرجل في غير مقامه. ص ٤٧٩
- ٥٤- وليس في الابتلاء بقوة الأشياء إلا التسليم واللجأ إلى المُقَدَّر في الفرج ، فيرى الرجل المؤمن الحازم يثبت لهذه العظائم ، ولا يتغير قلبه ، ولا ينطق بالشكوى لسانه. ص ٤٧٩
- ٥٥- سبحان من شغل كل شخص بفنٍّ ؛ لتنام العيون. ص ٤٩٣
- ٥٦- ويندر من الخلق من يُلهمه الكمال وطلب الأفضل ، والجمع بين العلوم

والأعمال ، ومعاملات القلوب ، وتتفاوت أرباب هذه الحال؛ فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار. ص ٤٩٣-٤٩٤

٥٧- قد تتأخر العقوبة وتأتي في آخر العمر؛ فيا طول التعشير مع كبر السن لذنوب كانت في الشباب! ص ٥٠١

٥٨- قد رُكِبَ في الطباع حب التفضيل على الجنس؛ فما أحدٌ إلا وهو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره.

فإذا وقعت نكبة أوجبت نزوله عن مرتبة سواه؛ فينبغي له أن يتجلد بسّر تلك النكبة؛ لئلا يُرى بعين نقص ، ولتجمل المتعفف حتى لا يُرى بعين الرحمة ، ولتتحامل المريض لئلا يَشْمَتَ به ذو العافية. ص ٥٠٤ - ٥٠٥

٥٩- وإنما العبد حقاً من يرضى ما يفعله الخالق؛ فإن سأل فأجيب رأى ذلك فضلاً ، وإن منع رأى تصرف مالكٍ في مملوك؛ فلم يَجُلْ في قلبه اعتراض بحال. ص ٥١٨

٦٠- رأيت سبب الهموم والغموم: الإعراض عن الله - عز وجل - ، والإقبال على الدنيا ، وكلما فات منها شيء وقع الغم لفواته. ص ٥٤٢

٦١- من البله أن تبادر عدواً أو حاسداً بالمخاصمة.

وإنما ينبغي إن عرفت حاله أن تظهر مما يوجب السلامة بينكما ، إن اعتذر قبلت وإن أخذ في الخُصومة صفحت ، وأريته أن الأمر قريب ، ثم تبطن الحذر منه؛ فلا تثق به في حال ، وتتجافاه باطناً مع إظهار المخالطة في الظاهر. فإن أردت أن تؤذيه فأول ما تؤذيه به إصلاحك واجتهادك فيما يرفعك.

ومن أعظم العقوبة له الصّبح عنه لله.

وإن بالغ في السب فبالغ في الصّبح تُنبّ عنك العوامُّ في شتمه، ويحمدك العلماء على حلمك.

وما تؤذيه به من ذلك، وتورثه به من الكمد ظاهراً وغيره في الباطن أضعافٌ وخيرٌ مما تؤذيه به من كلمة إذا قلتها سمعت أضعافها.

ثم بالخصومة تُعلّمهُ أنك عدوه، فيأخذ الحذر، ويبسط اللسان.

وبالصّبح يجهل ما في باطنك، فيمكنك حينئذ أن تشتفي منه.

أما أن تلقاه بما يؤذي دينك فيكون هو الذي قد اشتفى منك.

وما ظفر قط من ظفر به الإثم، بل الصّبح الجميل.

وإنما يقع هذا ممن يرى أن تسليطه عليه: إما عقوبة لذنوب، أو لرفع درجة،

أو للابتلاء؛ فهو لا يرى الخصم، وإنما يرى القدر. ص ٥٥٥ - ٥٥٦

٦٢- العجب من الذي أنف الذل كيف لا يصبر على جاف الخبز، ولا يتعرض

لمنن الأندال؟! ص ٥٦٦

٦٣- وأعجب من هذا من يقدر أن يستعبد الأحرار بقليل العطاء الفاني ولا

يفعل؛ فإن الحرُّ لا يُشتري إلا بالإحسان، قال الشاعر:

تفضل على من شئت واعن بأمره	فأنت ولو كان الأمير أميره
وكن ذا غنى عمن تشاء من الورى	ولو كان سلطاناً فأنت نظيره
ومن كنت محتاجاً إليه وواقفاً	على طمع منه فأنت أسيره

ص ٥٦٧

٦٤- تفكرتُ في سبب هداية من يهتدي ، وانتباه من يتيقظ من رقاد غفلته ، فوجدت السبب الأكبر اختيار الحق عز وجل لذلك الشخص ؛ كما قيل : إذا أَرَادَكَ لأمرهياًك له. ص ٥٧٧

٦٥- عجبت لمن يعجب بصورته ، ويختال في مشيته ، وينسى مبدأ أمره! ص ٥٧٩

٦٦- وعلامة إثبات الكمال في العلم والعمل : الإقبال بالكلية على معاملة الحق ومحبته ، واستيعاب الفضائل كلها ، وسناء الهمة في نشران الكمال الممكن. ص ٥٨٤

٦٧- عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد ، يرجو بذلك قربه من قلوبهم ، وينسى أن قلوبهم بيد من يعمل له؛ فإن رضي عمله ورآه خالصاً لفت القلوب إليه ، وإن لم يره خالصاً أعرض بها عنه. ص ٥٨٨

٦٨- من ضرورة الإخلاص ألا يقصد التفات القلوب إليه؛ فذاك يحصل لا بقصده ، بل بكرهته. ص ٥٨٨

٦٩- وليعلم الإنسان أن أعماله كُلُّها يعلمها الخلق جملةً ، وإن لم يطلعوا عليها للصالح بالصالح وإن لم يُشاهد منه ذلك. ص ٥٨٩

٧٠- فليترك الله العبدُ ، ويقصد مَنْ ينفعه قصده ، ولا يتشاغل بمدح عَنْ قليل يبلى هُوَ وَهُمْ. ص ٥٨٩

٧١- إياك والتأويلاتِ الفاسدة ، والأهواء الغالبة؛ فإنك إن ترخصت بالدخول في بعضها جرَّكَ الأمر إلى الباقي ، ولم تقدر على الخروج؛ لموضع إلف الهوى. ص ٥٩١

٧٢- ينبغي للعاقل أن يحترز غاية ما يمكنه؛ فإذا جرى القدرُ مع احترازه لم يُلم. ص ٦٠١

٧٣- ما اعتمد أحدٌ أمراً إذا هم بشيءٍ مثل التثبُّت؛ فإنه متى عمل بواقعةٍ من غير تأمل للعواقب - كان الغالب عليه الندم، ولهذا أُمرَ بالمشاورة؛ لأن الإنسان بالتثبُّت يفتكر، فتعرض على نفسه الأحوال، وكأنه شاور، وقد قيل: خمير الرأي خير من فطيره.

وأشد الناس تفريطاً من عمل مبادرة في واقعة من غير تثبت واستشارة، خصوصاً فيما يوجبه الغضب؛ فإنه طلب الهلاك أو الندم العظيم. ص ٦٠٥

٧٤- فالله الله! التثبت التثبت في كل الأمور! والنظر في عواقبها! خصوصاً الغضب المثير للخصومة، وتعجيل الطلاق. ص ٦٢٥

٧٥- لو علم المرائي أن قلوب الذين يرائيهم بيد من يعصيه - لما فعل. ص ٦٢٥

٧٦- ينبغي للإنسان أن يجتهد في جمع همه؛ لينفرد قلبه بذكر الله - سبحانه وتعالى - وإنفاذ أمره والتهيؤ للقاءه، وذلك إنما يحصل بقطع القواطع والامتناع عن الشواغل، وما يمكن قطع القواطع جملة؛ فينبغي أن يقطع ما يمكن منها. ص ٦٣٧

٧٧- دليل صحة نبينا محمد ﷺ أجلى من الشمس. ص ٦٥٦

٧٨- إني أعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على أقاربه وجيرانه؛ كيف يطيب عيشه؟! خصوصاً إذا علت سُنُّه. ص ٦٦١

٧٩- إذا رأيت قليل العقل في أصل الوضع؛ فلا ترجُ خيره.

فأما إن كان وافر العقل، لكنه يغلب عليه الهوى؛ فارجه. ص ٦٨١

٨٠_ لا ينبغي للإنسان أن يحمل على بدنه ما لا يطيق؛ فإن البدن كالراحلة إن لم يرفق بها لم تصل بالراكب. ص ٧١٣

٨١_ المصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه ، واقتناعه بعلمه ، وهذه محنة قد عمت أكثر الخلق. ص ٧٢٩ - ٧٣٠

٨٢_ تفكرت في نفسي يوماً تفكراً مُحَقَّقٍ فحاسبتها قبل أن تحاسب ، ووزنتها قبل أن توزن؛ فرأيت اللطف الرباني.

فمنذ الطفولة وإلى الآن أرى لطفاً بعد لطف ، وستراً على قبيح ، وعفواً عما يوجب عقوبة ، وما أرى لذلك إلا شكراً باللسان.

ولقد تفكرت في خطايا لو عوقبت ببعضها لهلكت سريعاً ، ولو كُشِفَ للناس بعضها لاستحييت.

ولا يعتقد معتقد عند سماع هذا أنها من كبائر الذنوب حتى يظن في ما يظن في الفساق ، بل هي ذنوب قبيحة في حق مثلي وقعت بتأويلات فاسدة؛ فصرت إذا دعوت أقول : اللهم بحمدك وسترك عليّ اغفرلي.

ثم طالبت نفسي بالشكر على ذلك فما وجدته كما ينبغي.

ثم أنا أتقاضى القدرَ مراداتي ، ولا أتقاضى بصبر على مكروه ، ولا بشكر على نعمة؛ فأخذت أنوح على تقصيري في شكر المنعم ، وكوني أتلذذ بإيراد العلم من غير تحقيق عمل به ، وقد كنت أرجو مقامات الكبار فذهب العمر وما حصل المقصود؛ فوجدت أبا الوفاء ابن عقيل قد ناح نحو ما نحت؛ فأعجبني نياحته^(١) فكتبته ههنا.

١ _ يعني بكاءه على نفسه ، ولومها لتقصيرها في جنب الله.

قال لنفسه: يا رعناء! تقومين الألفاظ؛ ليقال: مناظر، وثمرة هذا أن يقال: يا مناظر، كما يقال للمصارع: الفاره.

ضيعت أعز الأشياء وأنفسها عند العقلاء - وهي آخر أيام العمر - حتى شاع لك بين من يموت غداً اسم مناظر، ثم يُنسى الذاكر والمذكور إذا درست القلوب، هذا إن تأخر الأمر إلى موتك، بل ربما نشأ شابٌ أفره منك، فموهوا له، وصار الاسم له، والعقلاء^(١) عن الله تشاغلوا بما إذا انطوا نشرهم^(٢)، وهو العمل بالعلم، والنظر الخالص لنفوسهم.

أف لنفسي! وقد سطرت عدة مجلدات في فنون^(٣) العلم، وما عبق بها فضيلة^(٤). إن نوظرت شمخت، وإن نوصحت تعجرت^(٥)، وإن لاحت الدنيا طارت إليها طيران الرّخم، وسقطت عليها سقوط الغراب على الجيف؛ فليتها أخذت أخذ المضطر من الميتة، توفر في المخالطة عيوباً تُبلى، ولا تحتشم نظراً الحق إليها، وإن انكسر لها غرض تضجرت^(٦)، فإن أمدت بالنعم اشتغلت عن المنعم. أف والله مني، اليوم على وجه الأرض، وغداً تحتها.

١ - يعني بهم: الذين يعقلون عنه أمره ونهيه.

٢ - يعني إذا ماتوا أحياءهم، وجعل الناس يذكرونهم.

٣ - لعله يشير إلى كتابه (الفنون) الذي بلغ ثمانمائة مجلد كما ذكر ذلك ابن رجب الحنبلي في كتابه ذيل طبقات الحنابلة ١/١٥٦.

٤ - يعني أنه ما استفاد مما علم، ولم يعلق به شئ من ذلك، وهذا من تواضعه.

٥ - يعني تكبرت واستنكفت عن قبول الحق.

٦ - يعني أن نفسه تضجر وتسخط إذا لم تأت بها الأمور كما تريد.

والله إن نَتَنَ جَسدي بعد ثلاث تحت التراب أقل من نتن خلائقي وأنا بين الأصحاب.

والله إنني قد بهرني حِلْمُ هذا الكريم عني؛ كيف يَسْتُرني وأنا أَتَهْتِكُ، ويجمعني وأنا أَتَشَتُّ؟! وغداً يقال: مات الحبر العالم الصالح، ولو عرفوني حق معرفتي بنفسي ما دفنوني.

والله لأنادِينَّ على نفسي نداء المُكشِّفين معائب الأعداء، ولأنوحنَّ نوح الثاكِلين للأبناء؛ إذ لا نائح لي ينوح علي هذه المصائب المكتومة، والخلال المغطاة التي قد سترها مَنْ خَبَرها، وغطَّها من علمها.

والله ما أجد لنفسي حَلَّةً أَسْتَحسن أن أقول متوسلاً بها: اللهم اغفر لي كذا بكذا.

والله ما التفتُّ قط إلا وجدتُ منه -سبحانه- بَرًّا يكفيني، ووقاية تحميني مع تسلط الأعداء، ولا عَرَضَتْ حاجةٌ فمددت يدي إلا قضاها.

هذا فعله معي وهو ربُّ غني عني، وهذا فعلي وأنا عبد فقير إليه!! ولا عذر لي فأقول: ما دريتُ، أوسهوتُ، والله لقد خلقتني خلقاً صحيحاً سليماً، ونور قلبي بالفطنة، حتى إن الغائباتِ والمكنوناتِ تنكشف لفهمي.

فواحسرتاه على عمر انقضى فيما لا يطابق الرضا، واحرِّماني لمقامات الرجال الفطناء، ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله، واشماتة العدوي، واخيبة من أحسن الظن بي إذا شهدت الجوارحُ عليّ، واخذلاني عند إقامة الحجّة.

سخر -والله- مني الشيطان وأنا الفطن.

اللهم توبةً خالصةً من هذه الأقدار، ونهضةً صادقةً لتصفية ما بقي من الأكدار، وقد جئتك بعد الخمسين وأنا من خَلَقِ المتاع، وأبى العلم إلا أن يأخذ بي إلى معدن الكرم، وليس لي وسيلةٌ إلا التأسف والندم؛ فوالله ما عصيتك جاهلاً بمقدار نعمك، ولا ناسياً لما أسلفت من كرمك؛ فاغفرلي سالف فعلي». ص ٧٣٦-٧٣٩.

٨٣- قلّ أن يجري لأحد آفة إلا ويستحقها؛ غير أن تلك الآفات المجازى بها غائبة عنا، ورأينا الجزاء وحده؛ فَسَلِّمْ تَسَلِّمْ، واحذر كلمة اعتراض، أو إضمار؛ فربما أخرجتك من دائرة الإسلام. ص ٧٤٤-٧٤٥

ثالثاً: نقولات مختارة من كتاب:

الأخلاق والسير في مداواة النفوس لابن حزم ٣٨٤ - ٤٥٦ هـ

ط. دار الكتب العلمية

« تعريف بالكتاب » :

هذه رسالة تمثل عصارة تجارب ابن حزم في الحياة ، وفي شؤون الناس ، وهي
 - كما يقول د. إحسان عباس- : نوع من المذكرات ، والخواطر التي دونت على مر
 الزمن ، وكانت حصيلة التجربة المتدرجة .
 ولعل أكثرها إنما دون في سن كبيرة؛ لأنها تشير إلى الهدوء ، والنضج في
 محاكمة الناس ، والأشياء .

« مختارات من الكتاب » :

قال ﷺ :

١- لا تبذل نفسك إلا فيما هو أعلى منها ، وليس ذلك إلا في ذات الله - عز
 وجل - في دعاء إلى حق ، وفي حماية للحريم ، وفي دفع هوان لم يوجبه عليك
 خالقك - تعالى - وفي نصر مظلوم .

وباذل نفسه في عرض دنيا كبائع الياقوت بالخصى . ص ١٦

٢- العاقل لا يرى لنفسه ثمناً إلا الجنة . ص ١٦

٣- لإبليس في ذم الرياء حباله؛ وذلك أنه رب ممتنع من فعل خير؛ خوف أن

يظن به الرياء . ص ١٦

٤- العقل والراحة هو اطراح المبالاة بكلام الناس ، واستعمال المبالاة بكلام

الخالق _ عز وجل _ بل هذا باب العقل والراحة كلها. ص ١٧

٥ _ من قدر أن يسلم من طعن الناس وعيبيهم فهو مجنون. ص ١٧

٦ _ ليس بين الفضائل والرذائل ، ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأنسها فقط؛ فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ، ونفرت نفسه من الرذائل والمعاصي.

والشقي بالعكس من ذلك ، وليس هاهنا إلا صنع الله _ تعالى _ وحفظه. ص ١٨
٧ _ إذا نام المرء خرج عن الدنيا ، ونسي كل سرور وكل حزن؛ فلورتب نفسه في يقظته على ذلك _ أيضاً _ لسعد السعادة التامة. ص ٢٠

٨ _ لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويجلونك ، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك لكان ذلك سبباً في وجوب طلبه؛ فكيف بسائر فضله في الدنيا والآخرة؟

ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ، ويغبط نظراءه من الجهال _ لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه؛ فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة؟ ص ٢١

٩ _ الباخل بالعلم ألام من الباخل بالمال؛ لأن الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده ، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى على النفقة ، ولا يفارقه مع البذل. ص ٢٢
١٠ _ أجل العلوم ما قربك من خالقك _ تعالى _ وما أعانك على الوصول إلى رضاه. ص ٢٢

١١ _ انظر في المال ، والحال ، والصحة إلى من دونك ، وانظر في الدين ، والعلم

والفضائل إلى من فوقك. ص ٢٣

١٢- وقف العقل عند أنه لا ينفع إن لم يؤيد بتوفيق في الدنيا ، أو بسعد في الدنيا. ص ٢٣

١٣- العلوم الغامضة كالدواء القوي ، يصلح الأجساد القوية ، ويهلك الأجساد الضعيفة ، وكذلك العلوم الغامضة تزيد العقل القوي جودةً ، وتصفيه من كل آفة ، وتهلك ذا العقل الضعيف.

١٤- احرص على أن توصف بسلامة الجانب ، وَتَحَفَّظْ من أن توصف بالدهاء؛ فيكثر المتحفظون منك ، حتى ربما أضربك بك ، وربما قتلك. ص ٢٦

١٥- إذا تكاثرت الهموم سقطت كلها. ص ٢٦

١٦- وطن نفسك على ما تكره - يَقِلَّ همك إذا أتاك ، ويعظم سرورك ويتضاعف إذا أتاك ما تحب مما لم تكن قدّرتّه. ص ٢٦

١٧- طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها. ص ٢٦

١٨- لا تحقر شيئاً من عمل غدٍ أن تحققه بأن تُعَجِّلَه اليوم وإن قل؛ فإن قليل الأعمال يجتمع كثيرها ، وربما أعجز أمرها عند ذلك؛ فيبطل الكل. ص ٢٧ - ٢٨

١٩- لا تحقر شيئاً مما ترجو به تثقيل ميزانك يوم البعث أن تعجله الآن وإن قل؛ فإنه يحط عنك كثيراً ، ولو اجتمع لقذف بك في النار. ص ٢٨

٢٠- إنما تأنس النَّفْسُ بالنفس؛ فأما الجسد فمستثقل مهرومٌ به ، ودليل ذلك استعجال المرء بدفن جسد حبيبه بعد أن فارقتة نفسه ، وأسفه لذهاب النفس ، وإن كانت الجثة حاضرة بين يديه. ص ٣٠

- ٢١- من استخف بحرمات الله فلا تأمنه على شيء مما تشفق عليه. ص ٢٩
- ٢٢- لم أر لإبليس أصيد ولا أقبح من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعائه :
إحدهما : اعتذار من أساء بأن فلاناً أساء قبله.
- والثانية : استسهال الإنسان أن يسيء اليوم؛ لأنه قد أساء أمس ، أو أن يسيء في وجه ما؛ لأنه قد أساء في غيره؛ فقد صارت هاتان الكلمتان عذراً مسهلتين للشّر ، ومدخلتين في حد ما يعرف ، ويجهل ، ولا ينكر.
- ٢٣- حد العفة أن تغض بصرك وجميع جوارحك عن الأجسام التي لا تحل لك؛ فما عدا ذلك فهو عهر ، وما نقص حتى يُسكِّعَ عما أحل الله - تعالى - فهو ضعف وعجز. ص ٣٢
- ٢٤- حد العدل أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه ، وحد الجور أن تأخذه ولا تعطيه. ص ٣٢
- ٢٥- حد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعاً ، وتتجافى عن حقك لغيرك قادراً ، وهو فضل - أيضاً - . ص ٣٢
- ٢٦- إهمال ساعة يفسد رياضة سنة. ص ٣٣
- ٢٧- لو علم الناقص نقصه لكان كاملاً. ص ٣٨
- ٢٨- لا يخلو مخلوق من عيب؛ فالسعيد من قلت عيوبه ودقت. ص ٣٨
- ٢٩- استبقاك من عاتبك. ص ٣٩
- ٣٠- لا ترغب فيمن يزهد فيك؛ فتحصل على الخيبة والخزي. ص ٣٩
- ٣١- لا تزهد فيمن يرغب فيك؛ فإنه باب من أبواب الظلم ، وترك مقارضة

الإحسان، وهذا قبيح. ص ٣٩

٣٢- لا تنصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، ولكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة والشفاعة وبذل المعروف. ص ٤١

٣٣- أصول الفضائل كلها أربعة عنها تتركب كل فضيلة، وهي العدل، والفهم، والنجدة، والجود. ص ٥٩

٣٤- أصول الرذائل كلها أربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي الجور، والجهل، والجبن، والشح. ص ٥٩

٣٥- وبالجملة فكلما نقص العقل توهم صاحبه أنه أوفر الناس عقلاً، وأكمل تمييزاً ص ٧٦

٣٦- العاقل هو من لا يفارق ما أوجبه تمييزه. ص ٧٧

٣٧- من العجائب أن الفضائل مستحسنة ومستثقلة، والرذائل مستقبحة ومستخفة. ص ٨٠

٣٨- من أراد الإنصاف فليتوهم نفسه مكان خصمه؛ فإنه يلوح له وجهه تعسفه. ص ٨٠

٣٩- من بديع ما يقع في الحسد قول الحاسد إذا سمع إنساناً يُعرب في علم ما: هذا شيء بارد لم يُتقدّم إليه، ولا قاله قبله أحد.

فإن سمع من يبين ما قد قاله غيره قال: هذا بارد وقد قيل قبله.

وهذه طائفة سوء قد نصبت أنفسها للقعود على طريق العلم، يصدون الناس

عنها؛ ليكثر نظراؤهم من الجهال. ص ٧٧ - ٧٨

٤٠- لا عيب على من مال بطبعه إلى بعض القبائح ، ولو أنه أشد العيوب وأعظم الرذائل ما لم يظهره بقول أو فعل ، بل يكاد يكون أحمد ممن أعانه طبعه على الفضائل.

ولا تكون مغالبة الطبع الفاسد إلا عن قوة عقل فاضل. ص ٧٨ - ٧٩

٤١- الثبات الذي هو صحة العقد ، والثبات الذي هو اللجاج مشبهان اشتباهاً لا يفرق بينهما إلا عارف بكيفية الأخلاق.

والفرق بينهما أن اللجاج هو ما كان على الباطل ، أو ما فعله الفاعل نصراً لما نشب فيه ، وقد لاح له فساده ، أو لم يلح له صوابه ولا فساده ، وهذا مذموم ، وضده الإنصاف.

وأما الثبات الذي هو صحة العقد فإنما يكون على الحق ، أو على ما اعتقد المرء حقاً ما لم يلح له باطله ، وهذا محمود ، وضده الاضطراب.

وإنما يلام بعض هذين لأنه ضيع تدبر ما ثبت عليه ، وترك البحث عما التزم أحق هو أم باطل. ص ٥٧

٤٢- لا تكلف صديقك إلا مثل ما تبذله له من نفسك؛ فإن طلبت أكثر فأنت ظالم ، ولا تكسب إلا على شرط الفقد ، ولا تتول إلا على شرط العزل ، و إلا فأنت مضرٌ بنفسك خبيث السيرة. ص ٤٤

٤٣- إذا نصحت ففي الخلاء ، وبكلام لين ، ولا تسند سب من تحدثه إلى غيرك؛ فتكون نماماً؛ فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير ، وقد

قال الله - تعالى - : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ وقال رسول الله ﷺ : « ولا تُنفرا » .

وإذا نصحت بشرط القبول منك فأنت ظالم ، ولعلك مخطئ في وجه نصحك ؛ فتكون مطالباً بقبول خطئك ، وبترك الصواب . ص ٤٨

٤٤ - لكل شيء فائدة ؛ ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل فائدة عظيمة ، وهي أنه توقد طبعي ، واحتدم خاطري ، وحمي فكري وتهيج نشاطي ، فكان ذلك سبباً إلى تواليف عظيمة المنفعة ، ولولا استثارتهم ساكني ، واقتداحهم كامني ما انبعثت لتلك التواليف ص ٤٨

٤٥ - لا تصاهر إلى صديق ، ولا تبايعه ؛ فما رأينا هذين العاملين إلا سبباً للقطيعة - وإن ظن أهل الجهل أن فيهما تأكيداً للصلة - فليس كذلك ؛ لأن هذين العقدين داعيان كل واحدٍ منهما إلى طلب حظ نفسه ، والمؤثرون على أنفسهم قليل جداً ؛ فإذا اجتمع طلب كل امرئ حظ نفسه وقعت المنازعة ، ومع وقوعها فساد المروءة ص ٤٨ - ٤٩

٤٦ - الطمع أصل لكل ذل ، ولكل هم ، وهو خلق سوء ذميم ، وضده نزاهة النفس . ص ٥٢

٤٧ - من امتحن بقرب من يكره كمن امتحن ببعد من يحب ، ولا فرق . ص ٥٣

٤٨ - إذا دعا المحب في السلو فإجابته مضمونة ، ودعوته مجابة . ص ٥٣

٤٩ - اقتنع بمن عندك يقنع بك من عندك ص ٥٣

٥٠ - السعيد في المحبة هو من ابتلى بمن يقدر أن يلقي عليه قفله ، ولا تلحقه

في مواصلته تبعة في الله - عز وجل - ولا ملامة الناس . ص ٥٣

٥١- اثنان عظمت راحتهما: أحدهما في غاية المدح ، والآخر في غاية الذم ، وهما مطرّح الدنيا ، ومطرّح الحياء. ص ٦٠

٥٢- من عجيب تدبير الله - عز وجل - للعالم أن كل شيء اشتدت الحاجة إليه كان ذلك أهون له ، وتأمل ذلك في الماء فما فوقه .

وكل ما شيء اشتد الغنى عنه كان ذلك أعزّ له ، وتأمل في الياقوت الأحمر فما دونه. ص ٦١

٥٣- الخيانة في الحرّم أشد من الخيانة في الدماء. ص ٧٩

٥٤- غاية الخير أن يسلم عدوك من ظلمك ، ومن تركك إياه للظلم. ص ٨٠

٥٥- قلما رأيت أمراً أمكن فضيحه إلا فات؛ فلم يمكن بعد. ص ٨١

٥٦- كل من غلبت عليه طبيعة فإنه - وإن بلغ الغاية من الحزم والحذر - مصروع إذا كويد من قبلها. ص ٨١

٥٧- كثرة الريب تعلمها صاحبها الكذب ، لكثرة ضرورته إلى الاعتذار بالكذب؛ فيضري عليه ، ويستسهله. ص ٨٢

٥٨- أعدل الشهود على المطبوع على الصدق: وجهه؛ لظهور الاسترابة عليه إن وقع في كذبة ، أوهم بها.

وأعدل الشهود على الكذاب لسانه؛ لاضطرابه ، ونقض بعض كلامه بعضاً.

ص ٨٢

٥٩- اللقاء يذهب بالسخائم؛ فكأن نظر العين للعين يصلح القلوب؛ فلا يسؤك لقاء صديقك بعدوك؛ فإن ذلك يفتّر أمره عنده. ص ٨٢

رابعاً : نقولات مختارة من كتاب :

العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٦٦١-٧٨٢

ط. المكتب الإسلامي

١- وكلما قوي طمع العبد في فضل الله ورحمته لقضاء حاجته، ودفع ضرورته - قويت عبوديته له، وحرите مما سواه؛ فكما أن طمعه في المخلوق يوجب عبوديته له فيأسه منه يوجب غنى قلبه عنه. ص ٥٩

٢- فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن؛ فإن من استعبد بدنه، واسترق، وأسر - لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك، مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص.

وأما إذا كان القلب الذي هو ملك البدن رقيقاً، مستعبداً، مُتيمماً لغير الله - فهذا هو الذل، والأسر المحض، والعبودية الذليلة لما استعبد القلب. ص ٩٦

٣- فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس.

قال النبي ﷺ : «ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس»
رواه الشيخان.

وهذا - لعمر الله - إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة: امرأة، أو صبي - فهذا هو العذاب الذي لا يدانيه عذاب. ص ٩٧

٤- وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً؛ فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها، مستعبداً لها - اجتمع له من أنواع الشر و الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى؛ فدوام تعلق القلب

بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب ، ويزول أثره من قلبه .

وهؤلاء يشبهون بالسكارى ، والمجانين كما قيل :

سُكران : سُكْرُ هوى وسكر مدامةٍ ومتى إفاقة من به سُكران
وقيل :

قالوا جنت بمن تهوى فقلت لهم : العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبه وإنما يصرع المجنون في حين

ص ٩٨

٥- ومن أعظم أسباب هذا البلاء - يعني العشق - إعراض القلب عن الله؛
فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله ، والإخلاص له لم يكن عنده شيءٌ قطُّ أحلى
من ذلك ، ولا ألدُّ ، ولا أمتع ، ولا أطيب .

والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحسوب آخر يكون أحبَّ إليه منه ، أو خوفاً من
مكروه؛ فالحب الفاسد إنما ينصرف عن القلب بالحب الصالح ، أو بالخوف من الضرر .
قال الله - تعالى - في حق يوسف : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ يوسف ٢٤ .

فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور ، والتعلق بها ، ويصرف
عنه الفحشاء بإخلاصه لله .

ولهذا يكون قبل أن يذوق حلاوة العبودية لله ، والإخلاص له بحيث تغلبه نفسه
على اتباع هواها؛ فإذا ذاق طعم الإخلاص ، وقوي في قلبه انقهر بلا علاج . ص ٩٩
٦- قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾
العنكبوت ٤٥ .

فإن الصلاة فيها دفع مكروهه، وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب، وهو ذكر الله.

وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع ذلك المكروه؛ فإن ذكر الله عبادة، وعبادة القلب مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر فهو مقصود لغيره على سبيل التبع. ص ٩٩ - ١٠٠

٧- فجعل - سبحانه - غض البصر، وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش، والظلم، والشرك، والكذب، وغير ذلك. ص ١٠٠ - ١٠١

٨- فالقلب لا يصلح، ولا يفلح، ولا ينعم، ولا يسر، ولا يلتذ، ولا يطيب، ولا يسكن، ولا يطمئن إلا بعبادة ربه، وحبه، والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن، ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده، ومحبوه، ومطلوبه، وبذلك يحصل له الفرح، والسرور، واللذة، والمتعة، والسكون، والطمأنينة.

وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله؛ فهو دائماً مفتقر إلى حقيقة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه، ويطلبه، ويشتهي، ويريده، ولم يحصل له عبادة ربه - فلن يحصل إلا على الألم، والحسرة، والعذاب، ولن يخلص من آلام الدنيا، ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب له؛ بحيث يكون الله غاية مراده، ونهاية مقصوده. ص ١٣٨

٩- وبذلك يصرف الله عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال

تعالى_-: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾
يوسف ٢٤ فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته ما يمنعه من محبة غيره؛ إذ
ليس عند القلب السليم أحلى، ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من حلاوة
الإيمان المتضمن عبوديته لله، وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى
الله، فيصير القلب منيباً إلى الله، خائفاً منه، راغباً، راغباً. ص ١٣٩ - ١٤٠

١٠- وإذا كان العبد مخلصاً له اجتباؤه ربه، فأحيا قلبه، واجتذبه إليه،
فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء، ويخاف ضد ذلك.
بخلاف القلب الذي لم يخلص لله؛ فإنه فيه طلباً، وإرادة، وحباً مطلقاً، فيهوى
كل ما يسنح له، ويتشبث بما يهواه، كالغصن أي نسيم مر به عطفه، وأماله،
فتارة تجتذبه الصور المحرمة، وغير المحرمة، فيبقى أسيراً عبداً لمن لو اتخذه هو عبداً
له لكان ذلك عيباً ونقصاً وذماً.

وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة، فترضيه الكلمة، وتغضبه الكلمة، ويستعبده
من يثني عليه ولو بالباطل، ويعادي من يذمه ولو بالحق.

وتارة يستعبده الدرهم والدينار، وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب،
والقلوب تهواها، فيتخذ إلهه هواه، ويتبع بغير هدى من الله.

ومن لم يكن خالصاً لله، عبداً له، قد صار قلبه مُعَبِّداً لربه وحده، لا شريك
له بحيث يكون الله أحب إليه مما سواه، ويكون ذليلاً له خاضعاً، وإلا استعبده
الكائنات، واستولت على قلبه الشياطين، وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا
يعلمه إلا الله، وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه. ص ١٤٠ - ١٤٢

خامساً: نقولات مختارة من كتاب:

الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله

وهو من مجلدين ، بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم رحمته الله

١- فإن الله أمر بالعدل في الحكم ، والعدل قد يعرف بالرأي ، وقد يعرف بالنص. ٨/١

٢- النصوص دالة على عامة الفروع الواقعة ، كما يعرفه من يتحرى ذلك ويقصد الإفتاء بموجب الكتاب والسنة ودلالاتها ، وهذا يعرفه من يتأمل ، كمن يفتي في اليوم بمائة فتيا ، أو مائتين ، أو ثلاثمائة ، أو أكثر ، أو أقل ، وأنا قد جربت ذلك. ومن تدبر ذلك رأى أهل النصوص دائماً أقدر على الإفتاء ، وأنفع للمسلمين في ذلك من أهل الرأي المحدث ؛ فإن الذي رأيناه دائماً أن أهل رأي الكوفة من أقل الناس علماً بالفتيا ، وأقلهم منفعة للمسلمين مع كثرة عددهم ، وما لهم من سلطان وكثرة بما يتناولونه من الأموال الوقفية والسلطانية وغير ذلك.

ثم إنهم في الفتوى من أقل الناس منفعة ، قل أن يجيبوا فيها ، وإن أجابوا فقل أن يجيبوا بجواب شافٍ ، وأما كونهم يجيبون بحجة فهم من أبعد الناس عن ذلك. ١٢/١

٣- جميع الرسل أخبرت بيوم القيامة ، خلاف ما تزعم طوائف من الفلاسفة وأهل الكلام: أن المعاد الجسماني لم يخبر به إلا محمد وعيسى ، ونحو ذلك. ١٧/١

٤- كل علم دين لا يطلب من القرآن فهو ضلال ، كفساد كلام الفلاسفة

والتكلمة والمتصوفة والمتفقهة.

وكل عاقل يترك كتاب الله مريداً للعلو في الأرض والفساد فإن الله يقصمه؛ فالضال لم يحصل له المطلوب بل يعذب بالعمل الذي لا فائدة فيه، والجبار حصل لذة فقصمه الله عليها؛ فهذا عذب بإزاء لذاته التي طلبها بالباطل، وذلك يعذب بسعيه الباطل الذي لم يفده. ٢١ / ١

٥- والوسعُ: هو ما تسعه النفس، فلا تضيق عنه، ولا تعجز عنه؛ فالوسع فعل بمعنى مفعول، كالجهد. ٢٧ / ١

٦- وإذا كان كذلك فما عجز الإنسان عن عمله واعتقاده حتى يعتقد ويقول ضده خطأ أو نسياناً - فذلك مغفور له. ٢٨ / ١

٧- والبدعة مقرونة بالفرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة؛ فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة، وقد بسطنا هذا كله في غير هذا الموضع. ٤٢ / ١

٨- الفقه: هو معرفة أحكام أفعال العباد سواء كانت تلك المعرفة علماً أو ظناً، أو نحو ذلك. ٥٥ / ١

٩- علم الفرائض من علم الخاصة، حتى إن كثيراً من الفقهاء لا يعرفه. ٥٨ / ١

١٠- والمسلم الصادق إذا عبد الله بما شرع فتح الله عليه أنوار الهداية في مدة قريبة. ١٠٠ / ١

١١- وأما حديث السبعين ألفاً، فلم يَصِفْهُمْ بترك سائر التطيب، وإنما وصفهم بترك الاكتواء والاسترقاء، والاكتواء مكروه، وقد نهى عنه في غير هذا الحديث لما

قال: «وأنا أنهى أمتي عن الكي».

والمسترقى لم يفعل شيئاً إلا اعتماده على الراقي؛ فتوكله على الله - سبحانه وحده لا شريك له - أنفع له من ذلك.

وهذا الجواب الآخر، وهو أن المسترقى يضعف توكله على الله؛ فإنه إنما طلب دعاء الغير ورقيته؛ فاعتماد قلبه على الله وحده، وتوكله عليه أكمل لإيمانه، وأنفع له. ١٥٦/١ - ١٥٧

١٢- أهل السنة في كل مقام أصح نقلاً وعقلاً من غيرهم. ٢٠٥/١

١٣- قال عبدالله بن المبارك: رب رجل في الإسلام له قدم حسن، وآثار صالحة، كانت منه الهفوة والزلة، لا يقتدى به في هفوته وزلته. ٢١٩/١

١٤- قال الشافعي: الشعر كلام، فحسنه كحسن الكلام، وقبيحه كقبيحه. ٢٤٣/١

١٥- ولهذا لما سئل القاسم بن محمد عن الغناء، فقال للسائل: يا ابن أخي أرايت إذا ميز الله يوم القيامة بين الحق والباطل؛ ففي أيهما يجعل الغناء؟ فقال: في الباطل، قال: فماذا بعد الحق إلا الضلال؟. ٢٧٨/١

١٦- الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. ٣٠٨/١

١٧- فإن الصلاة - كما ذكر الله - تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وهذا مجرب محسوس يجد الإنسان من نفسه أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ويجد أهل هذا السماع «يعني الغناء» أن نفوسهم تميل إلى الفحشاء والمنكر. ٣١٨/١ - ٣١٩

١٨- فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مستلزماً من الفساد أكثر مما فيه من الصلاح لم يكن مشروعاً. ٣٣٠/١

١٩- بخلاف من أحب المحرمات مؤمناً بأنها من المحرمات؛ فإن من أحب الخمر، والغناء، والبغْي، والمخنث مؤمناً بأن الله يكره ذلك ويبغضه، فإنه لا يحبه محبة محضة، بل عقله وإيمانه يبغض هذا الفعل ويكرهه، ولكن قد غلبه هواه - فهذا قد يرحمه الله: إما بتوبة إذا قوي ما في إيمانه من بغض ذلك وكراهته حتى دفع حب الهوى، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بغير ذلك. ٣٤٨/١

٢٠- فالرجال إذا اختلطوا بالنساء كان بمنزلة اختلاط النار والخطب. ٣٦١/١

٢١- وهذا الحسن والجمال الذي يكون عن الأعمال الصالحة في القلب يسري إلى الوجه.

والقبح والشين الذي يكون عن الأعمال الفاسدة في القلب يسري إلى الوجه كما تقدم.

ثم إن ذلك يقوى بقوة الأعمال الصالحة والأعمال الفاسدة؛ فكلما كثر البر والتقوى قوي الحسن والجمال، وكلما قوي الإثم والعدوان قوي القبح والشين، حتى ينسخ ذلك ما كان للصورة من حسن وقبح؛ فكم ممن لم تكن صورته حسنة، ولكن من الأعمال الصالحة ما عظم به جماله وبهاؤه حتى ظهر ذلك على صورته؛ ولهذا يظهر ذلك ظهوراً بيّناً عند الإصرار على القبائح في آخر العمر عند قرب الموت؛ فنرى وجوه أهل السنة والطاعة كلما كبروا ازداد حسنهم وبهاؤها، حتى يكون أحدهم في كبره أحسن وأجمل منه في صغره.

ونجد وجوه أهل البدعة والمعصية كلما كبروا عظم قبحها وشينها، حتى لا يستطيع النظر إليها من كان منبهراً بها في حال الصغر، لجمال صورتها. ٣٦٥/١

٢٢- وشهوات الغي مُسْتَكِنَّةٌ في النفوس، فإذا حصلت القدرة قامت المحنة، فإما شقي وإما سعيد، ويتوب الله على من تاب؛ فأهل الامتحان إما أن يرتفعوا، وإما أن ينخفضوا. ٣٧٣/١

٢٣- وأما الجمال الخاص فهو - سبحانه - جميل يحب الجمال، والجمال الذي لِلْخُلُقِ من العلم، والإيمان والتقوى أعظم من الجمال الذي لِلْخُلُقِ وهو الصورة الظاهرة.

وكذلك الجميل من اللباس الظاهر؛ فلباس التقوى أعظم وأكمل، وهو يحب الجمال الذي للباس التقوى أعظم مما يحب الجمال الذي للباس الرياش، ويجب الجمال الذي لِلْخُلُقِ أعظم مما يحب الجمال الذي لِلْخُلُقِ. ٤٤١/١ - ٤٤٢

٢٤- وكذلك الصور الجميلة من الرجال أو النساء؛ فإن أحدهم إذا كان خلقه سيئاً بأن يكون فاجراً، أو كافراً معلناً، أو منافقاً - كان البغض، والمقت لِلْخُلُقِ، ودينه مستعلياً على ما فيه من الجمال، كما قال - تعالى - عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ المنافقون ٤ .

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ البقرة ٢٠٤ .

فهؤلاء إنما أعجبه صورهم الظاهرة للبصر، وأقوالهم الظاهرة للسمع؛ لما فيه من الأمر المعجب.

لكن لما كانت حقائق أخلاقهم التي هي أَمْلَكُ بهم مشتملة على ما هو من

- أبغض الأشياء ، وأمقتها إليه _ لم ينفعهم حسن الصورة والكلام. ٤٤٥/١
- ٢٥- فالذي يورثه العشق من نقص العقل ، والعلم ، وفساد الدين والخلق ، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا _ أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود. وأصدق شاهد على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم ، وسماع أخبار الناس في ذلك؛ فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته.
- ومن جرب ذلك ، أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية؛ فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته. ٤٥٩/١
- ٢٦- التوبة هي جماع الرجوع من السيئات إلى الحسنات ، ولهذا لا يحبط جميع السيئات إلا التوبة.
- والردة هي جماع الرجوع من الحسنات إلى السيئات ، ولهذا لا يحبط جميع الحسنات إلا الردة عن الإيمان. ٤٦٣/١
- ٢٧- فأعظم المراتب ذكر الله بالقلب واللسان ، ثم ذكر الله بالقلب ، ثم ذكر الله باللسان. ١٧/٢
- ٢٨- فبعض الواجب خير من تركه كله. ٢٧/٢
- ٢٩- وكم ممن يتشوف إلى الدرجات العالية التي لا يقدر أن يقوم بحقوقها؛ فيكون وصوله إليها وبالاً في حقه.
- وهذا في أمر الدنيا ، كما قال _ تعالى _ : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ٧٥ ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ٧٦ ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ ﴾ التوبة ٥٥/٢
- ٣٠- وغالب من يتعرض للمحن والابتلاء ليرتفع بها ينخفض بها؛ لعدم ثباته

في المحن ، بخلاف من ابتلاه الحق ابتداءً ، كما قال _ تعالى _ : ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ آل عمران : ١٤٣ .
وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿ ٢ ﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف .

وقال النبي ﷺ : « يا عبدالرحمن لا تسأل الإمارة؛ فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها » .

وقال : « إذا سمعتم بالطاعون ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منها » . ٥٦/٢

٣١_ والغلط مع حسن القصد وسلامته ، وصلاح الرجل وفضله ودينه ، وزهده وورعه وكراماته _ كثير جداً؛ فليس من شرط ولي الله أن يكون معصوماً من الخطأ والغلط ، بل ولا من الذنوب . ٩٣/٢

٣٢_ النفس لها أهواء وشهوات تلتذ بنيلها وإدراكها ، والعقل والعلم بما في تلك الأفعال من المضرة في الدنيا والآخرة يمنعها عن ذلك ، فإذا زال العقل الحافظ انبسطت النفس في أهوائها . ١٤٤/٢

٣٣_ فاعلم أن اللذة ، والسرور أمر مطلوب ، بل هو مقصود كل حي . ١٤٨/٢
٣٤_ وإذا كانت اللذة مطلوبة لنفسها فهي إنما تدم إذا أعقبت ألماً أعظم منها ، أو منعت لذة خيراً منها ، وتحمد إذا أعانت على اللذة المستقرة ، وهو نعيم الآخرة ، التي هي دائمة عظيمة . ١٥١/٢

٣٥_ ليس كل الخلق مأمورين بالكمال ، ولا يمكن ذلك فيهم ، فإذا فعلوا ما

به يدخلون الجنة لم يحرم عليهم مالا يمنعهم من دخولها.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع».

هذا مع العلم بأن الجنة يدخلها كثير من النساء والرجال أكثر من الذين كملوا من الطائفتين. ١٥٦/٢ - ١٥٧

٣٦- ومن العلم ما يضر بعض النفوس؛ لاستعانتها به على أغراضها الفاسدة، فيكون بمنزلة السلاح للمحارب، والمال للفاجر. ١٦٠/٢

٣٧- من الناس من لو جنَّ لكان خيراً له، فإنه يرتفع عنه التكليف، وبالعقل يقع في الكفر والفسوق والعصيان. ١٦١/٢

٣٨- وأما الكفار فزوال عقل الكافر خير له وللمسلمين، أما له فلا أنه لا يصدّه عن ذكر الله وعن الصلاة، بل يصدّه عن الكفر والفسق، وأما للمسلمين فلا أن السكر يوقع بينهم العداوة والبغضاء؛ فيكون ذلك خيراً للمؤمنين.

وليس هذا إباحة للخمر والسكر، ولكنه دفع لشر الشرين بأدناهما؛ ولهذا كنت أمر أصحابنا ألا يمنعوا الخمر عن أعداء المسلمين من التتار والكرج ونحوهم، وأقول: إذا شربوا لم يصدّهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة، بل عن الكفر والفساد في الأرض، ثم إنه يوقع بينهم العداوة والبغضاء، وذلك مصلحة للمسلمين، فصَحَّوْهُمْ شَرُّ من سكرهم، فلا خير في إعانتهم على الصحو، بل قد يستحب - أو يجب - دفع شر هؤلاء بما يمكن من سكر وغيره. ١٦٥/٢ - ١٦٦

٣٩- فإن الذنوب التي يبتلى بها العباد يسقط عنهم عذابها إما بتوبة تجب ما

قبلها، وإما باستغفار، وإما بحسنات يذهبن السيئات، وإما بدعاء المسلمين وشفاعتهم، أو بما يفعلونه له من البر، وإما بشفاعة النبي ﷺ وغيره فيه يوم القيامة، وإما أن يكفر الله خطاياهم بما يصيبه من المصائب، فقد تواتر عن النبي ﷺ أن ما يصيب المسلم من أذى شوكة فما فوقها، إلا حط الله بها خطاياهم كما تحط الشجرة اليابسة ورقها. ١٨٤/٢ - ١٨٥

٤٠- وأصناف الحسنات التي تُكفر بها السيئات كثيرة أكثر من السيئات، من أنواع البر جميعها، كما جاء ذلك في الأحاديث النبوية المطابقة لكتاب الله - تعالى. ١٨٥/٢

٤١- فإن الفقيه كل الفقيه لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجروهم على معاصي الله، واستحلال المحرمات كفر، والياس من رحمة الله كفر. ١٩٠/٢

٤٢- ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات، كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات وهذه أربعة أنواع.

ويؤمر أيضاً بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه، قال - تعالى -: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ العصر: ١-٣ ٢٥٩/٢

٤٣- وإذا عظمت المحنة كان ذلك للمؤمن الصالح سبباً لعلو الدرجة، وعظيم الأجر. ٢٦٠/٢

٤٤- فلا بد من الصبر على فعل الحسن المأمور، وترك السيئ المحذور، ويدخل في ذلك الصبر على الأذى وعلى ما يقال، والصبر على ما يصيبه من المكار،

والصبر على البطر عند النعم ، وغير ذلك من أنواع الصبر. ٢٦١/٢

٤٥- ولا يمكن العبد أن يصبر إن لم يكن له ما يطمئن له ويتنعم به ، ويغتذي

به ، وهو اليقين. ٢٦١/٢

٤٦- ولهذا يقرن الله - تعالى - بين الصلاة والزكاة تارة ، وهي الإحسان إلى

الخلق ، وبينها وبين الصبر تارة.

ولا بد من الثلاثة الصلاة ، والزكاة ، والصبر؛ لاتقوم مصلحة المؤمنين إلا بذلك

في صلاح نفوسهم وإصلاح غيرهم ، لاسيما كلما قويت الفتنة والمحنة؛ فإن

الحاجة إلى ذلك تكون أشد ، فالحاجة إلى السماحة والصبر عامة لجميع بني آدم ،

لا تقوم مصلحة دينهم ولا دنياهم إلا بهما. ٢٦٢/٢ - ٢٦٣

٤٧- ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشجاعة والكرم

بين الله - سبحانه - أنه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه أبدل الله به من يقوم

بذلك ، ومن تولى عنه بإنفاق ماله أبدل الله به من يقوم بذلك ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ

بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ٣٨ ﴿ إِلَّا

تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٣٩ ﴿ التوبة. ٢٦٩/٢

٤٨- وبالشجاعة والكرم في سبيل الله فضّل الله السابقين فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي

مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ

وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ الحديد: ١٠. ٢٧٠/٢

٤٩- وملاك الشجاعة الصبر الذي يتضمن قوة القلب وثباته ولهذا قال- تعالى- : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤٩ .
وقال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٤٥ ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ٤٦ ﴿ الأنفال .

والشجاعة ليست هي قوة البدن؛ فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف القلب، وإنما هي قوة القلب وثباته، فإن القتال مداره على قوة البدن، وصنعتة للقتال، وعلى قوة القلب، وخبرته به.

والمحمود منهما ما كان بعلم ومعرفة، دون التهور الذي لا يفكر صاحبه ولا يميز بين المحمود والمذموم؛ ولهذا كان القوي الشديد هو الذي يملك نفسه عند الغضب حتى يفعل ما يصلح دون ما لا يصلح.

فأما المغلوب حين غضبه فليس هو بشجاع ولا شديد. ٢٧٠/٢ - ٢٧١
٥٠- ولهذا كان الناس أربعة أصناف: من يعمل لله بشجاعة وبسماحة، فهؤلاء هم المؤمنون المستحقون للجنة.

ومن يعمل لغير الله بشجاعة وسماحة، فهذا ينتفع بذلك في الدنيا، وليس له في الآخرة من خلاق.

ومن يعمل لله لكن بلا شجاعة ولا سماحة، فهذا فيه من النفاق ونقص الإيمان بقدر ذلك.

ومن لا يعمل لله ولا فيه شجاعة ولا سماحة فهذا ليس له دنيا ولا آخرة.

سادساً : نقولات مختارة من كتاب :

جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله

تحقيق د. محمد رشاد سالم ويتكون من مجلدين

١- ثم أخبر عنهم - أي عن الأبرار في سورة الإنسان - بإطعام الطعام على محبتهم له ، وذلك يدل على نفاسته عندهم ، وحاجتهم إليه .

وما كان كذلك فالنفوس به أشح ، والقلوب به أعلق ، واليد له أمسك ؛ فإذا بذلوه في هذه الحال فهم لما سواه من حقوق العباد أبذل . ٧٢/١

٢- ولما كان لا سبيل إلى الصبر إلا بتعويض القلب بشيء هو أحب إليه من فوات ما يصبر على فوته - أمره بأن يذكر ربه - سبحانه - بكرة وأصيلاً ؛ فإن ذكره أعظم العون على تحمل مشاق الصبر ، وأن يصبر لربه بالليل ؛ فيكون قيامه بالليل عوناً على ما هو بصده بالنهار ، ومادة لقوته ظاهراً وباطناً ، ولنعيمه عاجلاً وآجلاً . ٧٥/١

٣- والعبد هو فقير دائماً إلى الله من كل وجه ؛ من جهة أنه معبوده ، وأنه مستعانه ، فلا يأتي بالنعم إلا هو ، ولا يصلح حال العبد إلا بعبادته .

وهو مذنب - أيضاً - لا بد له من الذنوب ؛ فهو دائماً فقير مذنب ؛ فيحتاج دائماً إلى الغفور الرحيم ؛ الغفور الذي يغفر ذنوبه ، والرحيم الذي يرحمه ، فينعم عليه ، ويحسن إليه ؛ فهو دائماً بين إنعام الرب ، وذنوب نفسه . ١١٦/١

٤- والمحبة المحمودة هي النافعة ، وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو

السعادة .

والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره، وهو الشقاء. ٢٠٢/٢

٥- ففي قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه، ويعبدونه، وذلك هو قوام قلوبهم، وصلاح نفوسهم، كما أن فيهم محبة لما يطعمونه، وينكحونه، وبذلك تصلح حياتهم، ويدوم شملهم.

وحاجتهم إلى التأله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء؛ فإن الغذاء إذا فُقد يفسد الجسم، وبفقد التأله تفسد النفس. ٢٤٢/٢

٦- قيل: إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القدر الواجب؛ فإذا أفرط كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب والجسم كما قال - تعالى -: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ الأحزاب ٣٢.

فمن صار مُفْرِطاً صار مريضاً كالإفراط في الغضب، والإفراط في الفرح، وفي الحزن. ٢٤٠/٢

٧- وقيل: إن العشق هو فساد الإدراك، والتخيل، والمعرفة؛ فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة. ٢٤٣/٢

٨- ولهذا لا يتلى بالعشق إلا من فيه نوع شرك في الدين، وضعف إخلاص لله. ٢٦٦/٢

٩- ولهذا تجد القوم الظالمين من أعظم الناس فجوراً، وفساداً، وطلباً لما يُروِّحون به أنفسهم من مسموع، ومنظور، ومشموم، ومأكول، ومشروب.

ومع هذا فلا تطمئن قلوبهم بشيء من ذلك.

هذا فيما ينالونه من اللذة، وأما ما يخافونه من الأعداء فهم أعظم الناس خوفاً، ولا عيشة لخائف.

وأما العاجز منهم فهو في عذاب عظيم، لا يزال في أسف على ما فاتته، وعلى ما أصابه.

وأما المؤمن فهو - مع قدرته - له من الإرادة الصالحة، والعلوم النافعة ما يوجب طمأنينة قلبه، وانشراح صدره بما يفعله من الأعمال الصالحة، وله من الطمأنينة وقرة العين ما لا يمكن وصفه.

وهو مع عجزه - أيضاً - له من أنواع الإرادات الصالحة، والعلوم النافعة التي يتنعم بها - ما لا يمكن وصفه. ٣٦٢/٢ - ٣٦٣

١٠ - وكل هذا محسوس مجرب، وإنما يقع غلط أكثر الناس أنه قد أحس بظاهر من لذات أهل الفجور، وذاقها، ولم يذق لذات أهل البر، ولم يخبرها. ٢٦٣/٢

١١ - فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها؛ فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها. ٢٤٠/٢

سابعاً: نقولات مختارة من كتاب:

الفوائد للإمام ابن القيم رحمه الله ٦٩١-٧٥١

ط. دار الكتاب العربي، تحقيق محمد عثمان الخشت

- ١- للعبد ستر بينه وبين الله ، وستر بينه وبين الناس؛ فمن هتك الستر الذي بينه وبين الله هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس.
- ٢- للعبد ربُّ هو ملاقيه ، وبيت هو ساكنه؛ فينبغي له أن يسترضي ربه قبل لقائه ، ويعمر بيته قبل انتقاله إليه.
- ٣- إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة ، والموت يُقطعك عن الدنيا وأهلها.
- ٤- الدنيا من أولها إلى آخرها لا تساوي غم ساعة؛ فكيف بغم العمر؟!
- ٥- محبوب اليوم يعقب المكروه غداً ، ومكروه اليوم يعقب الراحة غداً.
- ٦- أعظم الربح في الدنيا أن تشغل نفسك كل وقت بما هو أولى بها ، وأنفع لها في معادها.
- ٧- كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بشهوة ساعة؟.
- ٨- يخرج العارف من الدنيا ولم يقض وطره من شيئين: بكائه على نفسه ، وثنائه على ربه.
- ٩- المخلوق إذا خفته استوحشت منه ، وهربت منه ، والرب - تعالى - إذا خفته أنست به ، وقربت إليه.
- ١٠- لو نفع العلم بلا عمل لما ذم الله - سبحانه - أحبار أهل الكتاب ، ولو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم المنافقين.

- ١١- دافع الخطرة؛ فإن لم تفعل صارت شهوة وهمة؛ فإن لم تدافعها صارت فعلاً، فإن لم تتداركه بضده صار عادة؛ فيصعب عليك الانتقال عنها.
- ١٢- مَنْ عَظُمَ وقار الله في قلبه أن يعصيه - وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوله.
- ١٣- مثال تولد الطاعة، ونموها، وتزايدها - كمثال نواة غرسها، فصارت شجرة، ثم أثمرت، فأكلت ثمرها، وغرست نواها؛ فكلما أثمر منها شيء جنيت ثمره، وغرست نواه.
- وكذلك تداعي المعاصي؛ فليتدبر اللبيب هذا المثال؛ فمن ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها.
- ١٤- ليس العجب من مملوك يتذلل لله، ولا يمل خدمته مع حاجته وفقره؛ فذلك هو الأصل.
- إنما العجب من مالك يتحجب إلى مملوكه بصنوف إنعامه، ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه.
- ١٥- إياك والمعاصي؛ فإنها أذلت عزَّ ﴿اسجدوا﴾ وأخرجت إقطاع ﴿اسكن﴾.
- ١٦- الذنوب جراحات، ورب جرح وقع في مقتل.
- ١٧- لو خرج عقلك من سلطان هوائك عادت الدولة له.
- ١٨- إذا عرضت نظرة لا تحل فاعلم أنها مسعر حرب؛ فاستتر منها بحجاب ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فقد سلمت من الأثر، وكفى الله المؤمنين القتال.
- ١٩- اشتر نفسك؛ فالسوق قائمة، والثلث موجود.
- ٢٠- لا بد من سِنَّةِ الغفلة، ورُقَادِ الهوى، ولكن كن خفيفَ النوم.

- ٢١- اخرج بالعزم من هذا الفناء الضيق ، المحشو بالآفات إلى الفناء الرحب ، الذي فيه ما لا عين رأت ؛ فهناك لا يتعذر مطلوب ، ولا يفقد محبوب .
- ٢٢- قيل لبعض العباد : إلى كم تتعب نفسك ؟ قال : راحتها أريد .
- ٢٣- القواطع محنٌ يتبين بها الصادق من الكاذب ؛ فإذا خضتها انقلبت أعواناً لك ، توصلك إلى المقصود .
- ٢٤- الدنيا كامرأة بغيٌ لا تثبت مع زوج ، وإنما تخطب الأزواج ؛ ليستحسنوا عليها ؛ فلا ترضَ بالديانة .
- ٢٥- من أعجب الأشياء أن تعرفه ، ثم لا تحبه ، وأن تسمع داعيَه ثم تتأخر عن الإجابة ، وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره ، وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له ، وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته ، وأن تذوق عصرة القلب في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره و مناجاته ، وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ، ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه ، والإنابة إليه .
- ٢٦- و أعجب من هذا علمك أنك لا بد لك منه ، وأنك أحوج شيء إليه وأنت عنه معرض ، وفيما يبعدك عنه راغب .
- ٢٧- لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها ، وخداع الأمل لأربابه ، وتملك الشيطان ، وقياده النفوس ، ورأوا الدولة للنفس الأمانة - لجئوا إلى حصن التعرض ، والالتجاء كما يلتجأ العبد المذعور إلى حرم سيده .

- ٢٨- اشتر نفسك اليوم؛ فإن السوق قائمة، والثلث موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيه إلى قليل، ولا كثير ﴿ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾.
- ٢٩- العمل بغير إخلاص، ولا اقتداء كالمسافر يملاً جرابه رملاً يثقله، ولا ينفعه.
- ٣٠- إذا حملت على القلب هموم الدنيا وأثقالها، وتهاونت بأوراده التي هي قوته وحياته كنت كالمسافر الذي يحمل دابته فوق طاقتها، ولا يوفيهها علفها؛ فما أسرع ما تقف به.
- ٣١- من تلمح حلاوة العافية هانت عليه مرارة الصبر.
- ٣٢- ألفت عجز العادة؛ فلو علت بك همتك ربا المعالي لاحت لك أنوار العزائم.
- ٣٣- في الطبع شرّ، والحمية أوفق.
- ٣٤- البخيل فقير لا يؤجر على فقره.
- ٣٥- الصبر على عطش الضر، ولا الشرب من شرعة من.
- ٣٦- لا تسأل سوى مولاك؛ فسؤال العبد غير سيده تشنيع عليه.
- ٣٧- غرس الخلوة يثمر الأُنس.
- ٣٨- استوحش ممالا يدوم معك، واستأنس بمن لا يفارقك.
- ٣٩- إذا خرجت من عدوك لفظة سفه فلا تُلحِقها بمثلها تُلحِقها، ونسل الخصام مذموم.
- ٤٠- أوثق غضبك بسلسلة الحلم؛ فإنه كلب إن أفلت أتلَف.

٤١_ يا مستفتحاً باب المعاش بغير إقليد التقوى! كيف توسع طريق الخطايا، وتشكو ضيق الرزق؟

٤٢_ لو وقفت عند مراد التقوى لم يفتك مراد.

٤٣_ المعاصي سد في باب الكسب، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه.

٤٤_ من أراد من العمال أن يعرف قدره عند السلطان فلينظر ماذا يوليه من العمل، وبأي شغل يشغله.

٤٥_ الدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها؛ فكيف تعدو خلفها.

٤٦_ الدنيا جيفة، والأسد لا يقف على الجيف.

٤٧_ ودع ابن عون رجلاً فقال: عليك بتقوى الله؛ فإن المتقي ليس عليه وحشه.

٤٨_ قال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا.

٤٩_ قال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفاك الناس، وإن اتقيت الناس فلن يغنوا عنك من الله شيئاً.

٥٠_ قال سليمان بن داود: أوتينا مما أوتي الناس، ومما لم يؤتوا، وعلمنا مما علم الناس ومما لم يعلموا؛ فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى.

٥١_ جمع النبي ﷺ بين تقوى الله، وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه؛ فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته.

٥٢_ من عرف نفسه اشتغل بإصلاحها عن عيوب الناس.

- ٥٣- من عرف ربه اشتغل به عن هوى نفسه.
- ٥٤- أخسر الناس صفقة من اشتغل عن الله بنفسه ، بل أخسر منه من اشتغل بالناس عن نفسه.
- ٥٥- ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب ، والبعد عن الله.
- ٥٦- خلقت النار؛ لإذابة القلوب القاسية.
- ٥٧- أبعد القلوب عن الله القلب القاسي.
- ٥٨- إذا قسا القلب قحطت العين.
- ٥٩- قسوة القلب من أربعة أشياء ، إذا تجاوزت قد الحاجة : الأكل ، والنوم ، والكلام ، والمخالطة.
- ٦٠- كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب _ فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجع فيه المواعظ.
- ٦١- من أراد صفاء قلبه فليؤثر الله على شهوته.
- ٦٢- القلوب المتعلقة بالشهوات محجوبة عن الله بقدر تعلقها بها.
- ٦٣- القلوب آنية الله في أرضه ، فأحبه إليه أرقها ، وأصلبها ، وأصفها.
- ٦٤- خرابُ القلب من الأمن والغفلة ، وعمارته من الخشية والذكر.
- ٦٥- من وطن قلبه عند ربه سكن واستراح ، ومن أرسله في الناس اضطرب واشتد به القلق.
- ٦٦- القلب يمرض كما يمرض البدن ، وشفاءه في التوبة والحمية ، ويصدأ كما تصدأ المرأة ، وجلاؤه بالذكر ، ويعرى كما يعرى الجسم ، وزينته التقوى ، ويجوع ويظماً كما يجوع البدن ، وطعامه وشرابه المعرفة ، والتوكل ، والمحبة ، والإنابة.

٦٧- للقلب ستة مواطن يجول فيها لا سابع لها: ثلاثة سافلة، وثلاثة عالية؛ فالسافلة دنيا تتزين له، ونفس تحدته، وعدو يوسوس له؛ فهذه مواطن الأرواح السافلة التي لا تزال تجول فيها.

والثلاثة العالية علم يتبين له، وعقل يرشده، وإله يعبده، والقلوب جواله في هذه المواطن.

٦٨- إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله.

٦٩- الصبر عن الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة؛ فإنها إما أن توجب ألماً وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما تضيع وقتاً إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضاً توفيره أنفع للبعد من ثلمه، وإما أن تذهب مالا بقاؤه خير له من ذهابه، وإما أن تضع قدراً وجاهاً قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمة بقاؤها ألد وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضع إليك طريقاً لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب همماً، وغماً، وحزناً، وخوفاً لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علماً ذكره ألد من نيل الشهوة، وإما أن تشمت عدواً، أو تحزن ولياً، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، وإما أن تحدث عيباً يبقى صفة لا تزول؛ فإن الأعمال تورث الصفات، والأخلاق.

٧٠- للبعد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة، وموقف بين يديه يوم لقائه؛ فمن قام بحق الموقف الأول هون عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف، ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف، قال - تعالى - : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ .

ثامناً: نقولات مختارة من كتاب:

إغاثة اللفهان من مصاديد الشيطان للإمام ابن قيم الجوزية رحمته الله

تحقيق و تعليق مجدي فتحي السيد

١- وقد اختلفت عبارات الناس في معنى القلب السليم ، والأمر الجامع لذلك أنه الذي قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره. ص ١١

٢- فالقلب السليم : هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما ، بل لقد خلصت عبوديته لله - تعالى - . ص ١١

٣- القلب الميت : هو الذي لا حياة فيه ، بل هو لا يعرف ربه ، ولا يعبد به بأمره وما يحبه ويرضاه.

بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه؛ فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضي ربه أم سخط. ص ١٢

٤- القلب المريض : قلب له حياة ، وبه علة؛ فله مادتان : تمده هذه مرة ، وهذه أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما. ص ١٣

٥- فالقلب الأول حيٌّ محبٌ لئِنَّ واعٍ ، والثاني يابس ميت ، والثالث مريض؛ فإما إلى السلامة أدنى ، وإما إلى العطب أدنى. ص ١٣

٦- الفتن التي تُعرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشهوات ، وفتن الشبهات؛ فتن الغي والضلال ، فتن المعاصي والبدع ، فتن الظلم والجهل؛ فالأولى توجب فساد القصد والإرادة ، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد. ص ١٥

٧- فأهل الإيمان لهم شرح الصدر واتساعه وانفساحه ، وأهل الضلال لهم ضيق الصدر والخرج. ص ٢٧

٨- حياة القلب وإضاءته مادة كل خير فيه ، وموته وظلمته مادة كل شر فيه. ص ٢٧

٩- فليس في الكائنات شيء غير الله - عز وجل - يسكن القلب إليه ، ويطمئن به ، ويأنس به ، ويتنعم بالتوجه إليه. ص ٣٥

١٠- فقر العبد إلى أن يعبد الله - سبحانه - وحده لا يشرك به شيئاً ليس له نظير فيقاس به ، لكن يشبهه من بعض الوجوه حاجة الجسد إلى الغذاء والشراب والنفس ؛ فيقاس بها ، لكن بينهما فروق كثيرة. ص ٣٥

١١- وليس المقصود بالعبادات والأوامر المشقة والكلفة بالقصد الأول ، وإن وقع ذلك ضمناً وتبعاً في بعضها ؛ لأسباب اقتضته لا بد منها ، وهي لوازم هذه النشأة.

فأوامره - سبحانه - وحقه الذي أوجبه على عباده ، وشرائعه التي شرعها لهم - هي قرة العيون ، ولذة القلوب ، ونعيم الأرواح ، وسرورها ، وبها شفاؤها ، وسعادتها ، وفلاحها ، وكمالها في معاشها ، ومعادها.

بل لا سرور لها ، ولا لذة ، ولا نعيم في الحقيقة إلا بذلك كما قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٥٧ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . ص ٣٦

١٢. فالمخلوق لا يقصد منفعتك بالقصد الأول ، بل إنما يقصد انتفاعه بك .
والرب - تعالى - إنما يريد نفعك لا انتفاعه بك ، وذلك منفعة محضة لك خالصة من المضرة .

بخلاف إرادة المخلوق نفعك ؛ فإنه يكون فيه مضرة عليك ، ولو بتحمل منته .
فتدبر هذا ؛ فإن ملاحظته تمنعك من أن ترجو المخلوق ، أو تعامله دون الله - عز وجل - أو تطلب منه نفعاً ، أو دفعاً ، أو تعلق قلبك به . ص ٤٧

١٣ . فالقلب الطاهر ؛ لكمال حياته ونوره ، وتخلصه من الأدران والخبائث لا يشبع من القرآن ، ولا يتغذى إلا بحقائقه ، ولا يتداوى إلا بأدويته ، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله - تعالى - فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه بحسب ما فيه من النجاسة ؛ فإن القلب النجس كالبدن العليل المريض ، لا تلائمه الأغذية التي تلائم الصحيح . ص ٦٣

١٤ . وسألت شيخ الإسلام - يعني ابن تيمية - عن معنى دعاء النبي ﷺ :
« اللهم طهرني من خطاياي بالماء والثلج والبرد » .

كيف يطهر الخطايا بذلك ؟ وما فائدة التخصيص بذلك ؟ وقوله في لفظ آخر
« والماء البارد » والحرار أبلغ في الإنقاء ؟

فقال : الخطايا توجب للقلب حرارة ، ونجاسة ، وضعفاً ؛ فيرتخي القلب ، وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه ؛ فإن الخطايا والذنوب له بمنزلة الحطب الذي يمد النار ويوقدها ؛ ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه ، والماء يغسل الخبث ، ويطفىئ النار ، فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة ، فإن كان معه

ثلج وبرد كان أقوى في التبريد، وصلابة الجسم وشدة؛ فكان أذهب لأثر الخطايا.

هذا معنى كلامه، وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح. ص ٦٤

١٥. وقريب من هذا أنه عليه السلام كان إذا خرج من الخلاء قال: «غفرانك».

وفي هذا من السر - والله أعلم - أن النجوة يثقل البدن، ويؤذيه باحتباسه، والذنوب تثقل القلب، وتؤذيه باحتباسها فيه؛ فهما مؤذيان مضران بالبدن والقلب؛ فحمد الله عند خروجه على خلاصه من هذا المؤذي لبدنه، وخفة البدن وراحته، وسأل أن يخلصه من المؤذي الآخر، ويريح قلبه منه ويخففه.

وأسرار كلماته، وأدعيته عليه السلام فوق ما يخطر بالبال. ص ٦٦

١٦. فالأعيان النجسة إما أن تؤذي البدن أو القلب، أو تؤذيهما معاً.

والنجس قد يؤذي برائحته، وقد يؤذي بملاسته، وإن لم تكن له رائحة كريهة. والمقصود أن النجاسة تارة تكون محسوسة ظاهرة، وتارة تكون معنوية باطنة، فيغلب على الروح والقلب الخبث والنجاسة، حتى إن صاحب القلب الحي ليشم من تلك الروح والقلب رائحة خبيثة يتأذى بها، كما يتأذى من شم رائحة النتن، ويظهر ذلك كثيراً في عرقه، حتى ليوجد لرائحة عرقه نتناً؛ فإن نتن الروح والقلب يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره.

والعرق يفيض من الباطن؛ ولهذا كان الرجل الصالح طيب العرق، وكان رسول الله - صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - أطيب الناس عرقاً.

قالت أم سليم وقد سألتها رسول الله - عليه الصلاة والسلام - عنه وهي تلتقطه: «هو من أطيب الطيب».

فالنفس النجسة الخبيثة يقوى خبثها ونجاستها حتى يبدو على الجسد.
والنفس الطيبة بضدها؛ فإذا تجردت، وخرجت من البدن وجد لهذه كأطيب
نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، ولتلك كأنتن ريح جيفة وجدت على
وجه الأرض. ص ٦٧

١٧. فلا تجد مشركاً قط إلا وهو متنقص لله - سبحانه - وإن زعم أنه يعظمه
بذلك.

كما أنك لا تجد مبتدعاً إلا وهو متنقص للرسول - صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم - وإن زعم أنه معظم له بتلك البدعة؛ فإنه يزعم أنها خير من السنة،
وأولى بالصواب، أو يزعم أنها هي السنة إن كان جاهلاً مقلداً، وإن كان
مستبصراً في بدعته فهو مشاق لله ورسوله. ص ٦٩

١٨. فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقدته إذا استشعر
قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فَتَفَرَّدُ العبد في طريق طلبه دليلٌ على صدق
الطلب. ص ٧٦

١٩. فالنفس إذا سكنت إلى الله، واطمأنت بذكره، وأنابت إليه، واشتأقت إلى
لقاءه، وأنست بقربه؛ فهي مطمئنة، وهي التي يقال لها عند الوفاة: ﴿يَا أَيَّتُهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٨٤﴾. ص ٨٤
٢٠. والنفس قد تكون تارة أمارة، وتارة لوامة، وتارة مطمئنة.

بل في اليوم الواحد والساعة الواحدة يحصل منها هذا وهذا، والحكم للغالب

عليها من أحوالها؛ فكونها مطمئنةً وصفٌ مدحٌ لها، وكونها أمارَةً بالسوء وصفٌ ذمٌّ لها، وكونها لوامةً ينقسم إلى المدح والذم بحسب ما تلوم عليه. ص ٨٦

٢١. ويعينه على هذه المراقبة والمحاسبة معرفة أنه كلما اجتهد فيها اليوم استراح منها غداً إذا صار الحساب إلى غيره، وكلما أهملها اليوم اشتد عليها الحساب غداً. ص ٨٩

٢٢. فكل نفسٍ من أنفاس العمر جوهرة نفيسةٌ لا حظ لها يمكن أن يشتري بها كنز من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد؛ فإضاعة هذه الأنفاس، أو اشتراء صاحبها بها ما يجلب هلاكه - خسران مبین، لا يسمح بمثله إلا أجهل الناس، وأحمقهم وأقلهم عقلاً. ص ٨٩

٢٣. وذكر ابن أبي الدنيا عن الخلد بن أيوب قال: «كان راهب في بني إسرائيل في صومعة منذ ستين سنة؛ فأتى في منامه، فقيل له: إن فلاناً الإسكافي خير منك - ليلة بعد ليلة - فأتى الإسكافي، فسأله عن عمله فقال: إني رجل لا يكاد يمر بي أحد إلا ظننت أنه في الجنة وأنا في النار؛ ففضل على الراهب بإزارته على نفسه». ص ٩٥

٢٤. فالنفس داعية إلى المهالك، معينة للأعداء، طامحة إلى كل قبيح، متبعة لكل سوء، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة. ص ٩٥

٢٥. ومن كيده - أي الشيطان - للإنسان: أنه يورده الموارد التي يخيل إليه أن فيها منفعة، ثم يصدره المصادر التي فيها عطبه، ويتخلى عنه ويسلمه ويقف يشمت به، ويضحك منه، فيأمره بالسرقة والزنا والقتل، ويدل عليه، ويفضحه. ص ١١٧

٢٦. ومن كيده العجيب: أنه يُشَامُ النَّفْسَ، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها: قوة الإقدام والشجاعة، أم قوة الانكفاف والإحجام والمهانة؟
فإن رأى الغالب على النفس المهانة والإحجام أخذ في تشييطه وإضعاف همته وإرادته عن المأمور به، وثقله عليه، فهوّن عليه تركه، حتى يتركه جملة، أو يقصر فيه، ويتهاون به.

وإن رأى الغالب عليه قوة الإقدام، وعلو الهمة أخذ يقلل عنده المأمور به، ويوهمه أنه لا يكفيه، وأنه يحتاج معه إلى مبالغة وزيادة فيقصر بالأول، ويتجاوز بالثاني، كما قال بعض السلف: «ما أمر الله - تعالى - بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر». ص ١٢٤
٢٧. فالفتنة قسمت الناس، إلى صادق وكاذب، ومؤمن ومنافق، وطيب وخبيث؛ فمن صبر عليها كانت رحمة في حقه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنة أشد منها. ص ٥٣٢

٢٨. فالعبد في هذه الدار مفتون بشهواته ونفسه الأمارة، وشيطانه المغوي المزين، وقرنائه وما يراه، ويشاهده، مما يعجز صبره عنه.
ويتفق مع ذلك ضعف الإيمان واليقين، وضعف القلب، ومرارة الصبر، وذوق حلاوة العاجل، وميل النفس إلى زهرة الحياة الدنيا، وكون العوض مؤجلاً في دار أخرى غير هذه الدار التي خلق فيها، وفيها نشأ؛ فهو مكلف بأن يترك شهوته الحاضرة المشاهدة لغيب طلب منه الإيمان به:

فوالله لولا الله يسعد عبده بتوفيقه والله بالعبد أرحم

لما ثبت الإيمان يوماً بقلبه على هذه العلات والأمر أعظم
ولا طاوعته النفس في ترك شهوة مخافة نار جمرها يتضرم
ولا خاف يوماً من مقام إلهه عليه بحكم القسط إذ ليس يظلم
ص ٥٣٣-٥٣٤

٢٩. وقد جاء في حديث مرسل: «إن الله يحب البصر النافذ عند ورود
الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات».
فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة، وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة
الشبهة، والله المستعان. ص ٥٣٧

٣٠. إذا سلم العبد من فتنة الشبهات والشهوات حصل له أعظم غايتين
مطلوبتين، بهما سعادته وفلاحه وكماله، وهما الهدى، والرحمة. ص ٥٣٧
٣١. وهكذا الرجل كلما اتسع علمه اتسعت رحمته، وقد وسع ربنا كل
شيء رحمةً وعلماً؛ فوسعت رحمته كل شيء، وأحاط بكل شيء علماً؛ فهو
أرحم بعباده من الوالدة بولدها، بل هو أرحم بالعبد من نفسه، كما هو أعلم
بمصلحة العبد من نفسه.

والعبد لجهله بمصالح نفسه وظلمه لها يسعى فيما يضرها ويؤلمها، وينقص
حظها من كرامته وثوابه، ويبعدها من قرب، وهو يظن أنه ينفعها ويكرمها، وهذا
غاية الجهل والظلم، والإنسان ظلوم جهول. ص ٥٤٣

٣٢. وكان سقراط يقول: إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول، وإذا
أدبرت خدمت العقول الشهوات.

وقال: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم؛ فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

تاسعاً: نقولات مختارة من كتاب:

الحرية في الإسلام للشيخ محمد الخضر حسين

طبعة دار الاعتصام وهو محاضرة ألقاها المؤلف مساء يوم السبت

١٣٢٤/٤/١٧ هـ وهو يومئذ القاضي بمدينة بنزرت بتونس.

«نبذة في سيرة المؤلف» :

ولد رحمته الله في بلدة نفطة بتونس عام ١٢٩٣ هـ من أسرة علم وصلاح ، ولما بلغ الثانية عشرة من عمره انتقل مع والده إلى العاصمة تونس ، والتحق بطلاب العلم بجامعة الزيتونة؛ وحصل على الشهادة العالية في العلوم الدينية والعربية.

أوتي بياناً ساحراً ، وقلماً سيالاً ، قلما يوجد له نظير في العصور المتأخرة ، بل إنه يضارع أرباب البيان الأوائل.

وكان هادئ الطبع ، حسن المعشر ، لين العريكة ، جم التواضع ، وكان متفنناً في علوم الشريعة واللغة.

أصدر مجلة السعادة العظمى عام ١٣٢١ ، وتولى القضاء في مدينة بنزرت ، ولم يرقه ميدان القضاء ، فتركه إلى التدريس في جامعة الزيتونة.

حكم عليه الاستعمار الفرنسي بالإعدام ، فهاجر إلى دمشق ، ثم إلى مصر ، وانضم إلى علماء الأزهر ، وأخيراً عام ١٩٥٢ عُيِّن إماماً لمشيخة الأزهر ، فقام به خير قيام ، وهو آخر عالم تولى الأزهر بترشيح العلماء.

توفي عام ١٣٧٧ هـ ودفن بالمقبرة التيمورية.

خلف آثاراً كثيرة منها: رسائل الإصلاح ، ومحاضرات إسلامية ، ونقض كتاب

الشعر الجاهلي ، ونقض كتاب الإسلام وأصول الحكم وغير ذلك.
 وله ديوان شعر اسمه «خواطر الحياة» ، وله كتاب «الحرية في الإسلام»
 وهو الكتاب الذي بين أيدينا نقول منه.
 وقد كتبه مبيناً مفهوم الحرية الحقة ، موضحاً قسوة الاستبداد خصوصاً في وقته
 حيث كان الاستعمار محكماً قبضته على كثير من البلدان العربية الإسلامية.
 ولا تكاد تظفر بكتاب مثله في هذا الباب من جهة قوة التحرير ، وشدة
 الأسر ، وجزالة الأسلوب.
 هذه نبذة عن سيرته ، وتفصيل سيرته موجود في الكتب التي ترجمت له ،
 ومنها كتاب :

«الصدقة بين العلماء» لكاتب هذه الأوراق

«نقولات من كتاب الحرية في الإسلام» :

- ١- وإذا علمت نفس طاب عنصرها ، وشرف وجدانها أن مطمح الهمم إنما
 هي غاية ، وحياة وراء حياتها الطبيعية _ لم تقف بسعيها عند حد غذاء يقوتها ،
 وكساء يسترها ، ومسكن تأوي إليه.
- بل لا تستفيق جهدها ، ويطمئن بها قرارها إلا إذا بلغت مجداً شامخاً يصعد بها
 إلى أن تختلط بكواكب الجوزاء. ص ١٠
- ٢- يقوم فسطاط الحرية على قاعدتين عظيمتين هما : المشورة ، والمساواة؛
 فالمشورة تتميز الحقوق ، وبالمساواة ينتظم إجراءاتها ، ويطرد نفاذها.
- وكل واحدة من هاتين القاعدتين رفع الإسلام سمكها ، وسواها. ص ١٨

٣- وهكذا ما ساد الأدب، وانتشرت الفضيلة بين أمة إلا اتبعوا شرعة الإنصاف من عند أنفسهم، والتحفوا برداء الصدق والأمانة بمجرد بث النصيحة، والموعظة الحسنة، فيخفت ضجيج الضارعين، وصخب المبطلين، ولا تكاد تسمع لهما في أجواف المحاكم حسيماً. ص ٢٠

٤- أذن الله له ﷺ بالاستشارة وهو غني عنها بما يأتيه من وحي السماء؛ تطبيقاً لنفوس أصحابه، وتقريراً لسنة المشاورة للأمة من بعده. ص ٢١

٥- وكان أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) من العلم بقوانين الشريعة، والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء. (١)

ومع هذا لا يبرم حكماً في حادثة إلا بعد أن تتداولها آراء جماعة من الصحابة. وإذا نُقل له أحدهم نصاً صريحاً ينطبق على الحادثة قال: «الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا». ص ٢١

٦- لا تكون قاعدة الشورى من نواصر الحرية وأعوانها إلا إذا وضع حجرها الأول على قصد الحنان والرأفة بالرعية.

وأما المشاركة في الرأي وحدها - ولا سيما رأي من لا يطاع - فلا تكفي في قطع دابر الاستبداد. ص ٢٥

١- هذا تضمين لبنت البوصيري:

كيف ترقى رقيق الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

والشيخ محمد الخضر (رحمه الله) من أرباب البيان، خصوصاً في باب الاقتباس و التضمين؛ فهو فارس لا يشق له غبار في هذا الميدان، وسترى نماذج لذلك فيما سيأتي.

٧- وأهم فوائد المشورة تخلص الحق من احتمالات الآراء.

وذهب الحكماء من الأدباء في تصوير هذا المغزى وتمثيله في النفوس إلى مذاهب شتى ، قال بعضهم :

إذا عنّ أمر فاستشر فيه صاحباً
وإن كنت ذا رأي تشير على الصاحب
فإني رأيت العين تجهل نفسها
وتدرك ما قد حلّ في موضع الشهب
وقال آخر :

اقرن برأيك رأي غيرك واستشر
فالحق لا يخفى على الآثنين
والمرءُ مرآةٌ تريه وجهه
ويرى قفاه بجمع مرآتين
وقال آخر :

الرأي كالليل مسوداً جوانبه
والليل لا ينجلي إلا بمصباح
فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى
مصباح رأيك تزدّد ضوء مصباح

ص ٢٥

٨- ومن فوائد الشورى استطلاع أفكار الرجال ، ومعرفة مقاديرها؛ فإن الرأي
يمثل لك عقل صاحبه كما تمثل لك المرأة صورة شخصه إذا استقبلها. ص ٢٦

٩- الحرية في الأموال هي إطلاق التصرف لأصحابها يذهبون في اكتسابها ،
والتمتع بها على الطريق الوسط دون أن تلم بها فاجعة الاغتصاب ، أو تخطفها
خائنة كيد واحتيال. ص ٣١

١٠- فلا حرج في جمع الدنيا من الوجوه المباحة ما لم يكن صاحبها عن
الواجبات في شغل شاغل.

وقد ذكر الله - تعالى - التجارة في معرض الخط من شأنها حيث شغلت عن طاعة
في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ
اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ . الجمعة : ١١

ولما رجعوا عن صنيعهم ، وأخذوا بأدب الشريعة في إثارة الواجبات الدينية ،
وعدم الانقطاع عنها إلى الاشتغال بالتجارة ونحوها - ذكرها ، ولم يهضم من
حقها شيئاً ، فقال - تعالى - : ﴿ رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .
النور : ٣٧

فأثبت لهؤلاء الكُمَّل أنهم تجار وباعة ، ولكنهم لم يشتغلوا بضروب منافع
التجارة عن فرائض الله ، وهذا قول المحققين في الآية . ص ٣٢

١١ - بيد أن الشريعة أمرت العامل بأن يكون قلبه حال عمله مطوياً على
سراج من التوكل والتفويض ؛ فإن اعتماد القلب على قدرة الله وكرمه يستأصل
جراثيم اليأس ، ومنابت الكسل ، ويشد ظهر الأمل الذي يلج به الساعي أغوار
البحار العميقة ، ويقارع به السباع الضارية في فلواتها . ص ٣٣

١٢ - لم تغادر الشريعة صغيرة ولا كبيرة من وجوه التصرفات في الأموال إلا
أحصتها ، وعلقت عليها حكماً عادلاً . ٣٤

١٣ - كما أذن الإسلام في اكتساب الأموال ، واستثمار أرباحها من وجوهها
المعتدلة أذن في الاستمتاع بها ، وترويح خاطر بنعيمها ؛ شريطة الاقتصاد . ٣٧

١٤ - وأما الآيات الواردة في سياق التزهيد ، والخط من متاع الحياة الدنيا فلا
يقصد منها ترغيب الإنسان ؛ ليعيش مجانباً للزينة ، ميت الإرادة عن التعلق بشهواته

على الإطلاق.

وإنما يقصد منها _ فيما نفهمه _ حكم أخرى كتسليية الفقراء الذين لا يستطيعون ضرباً في الأرض ، وَمَنْ قَصُرَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْ تَنَاوُلِهَا؛ لثلا تضيق صدورهم على آثارها أسفاً.

ومنها تعديل الأنفس الشاردة ، وانتزاعُ ما في طبيعتها من الشرِّ ، والطمع؛ لثلا يخرجها بها عن قصد السبيل ، وَيَتَطَوَّحُ بِهَا فِي الْاِكْتِسَابِ إِلَى طَرَقٍ غَيْرِ لائِقَةٍ. فاستصغارُ متاع الدنيا ، وتحقيرُ لذائذها في نفوس الناس يرفعهم عن الاستغراق فيها ، وَيُكَبِّرُ بِهِمَمَهُمْ عَنْ جَعْلِهَا قَبْلَةً يُولُون وجوهمهم شطرها حيثما كانوا. وقد بين لنا العيان أن الإنسان متى عكف على ملأد الحياة ، ولم يَصْحُ فؤاده عن اللهو بزخارفها ماتت عواطفه ، ونسي ، أوتناسى من أين توتى المكارم ، والمروءة ، ودخل مع الأنعام في حياتهم السافلة. ٣٨

١٥_ وأما ما ثبت عن بعض السلف من نبذ الزينة ، والإعراض عن العيش الناعم عند القدرة عليه ، أو في حال وجوده _ فلا يريدونه قرينة بنفسه ، ولكن يبتغون به الوسيلة إلى رياضة النفس ، وتدريبها على مخالفة الشهوات؛ لتستقر تحت طوع العقل بسهولة ، وتتمكن من طرح أهوائها الزائغة بدون كلفة؛ فلو وثق الإنسان من نفسه بحسن الطاعة لم تكن في مجانبته للطيبات مزية ولا مؤاخذة. ص ٣٩

١٦_ ولا ننسى أن كثيراً من الشعراء قد طغى بهم الإبداع في المقال إلى أن نسقوا في مديح الخمر صفات الجمال ، وضربوا للتنويه بشأنها الأمثال؛ فاستهوا لمعاقرتها عبید الخيال ، والشعراء يتبعهم الغاؤون. ص ٤١

١٧- فالإسلام - وإن عني بتزكية الأرواح ، وترقيتها في مراقي الفلاح - لم يبخس الحواس حقها ، وقضى لبانتها من الزينة ، واللذة بالقسطاس المستقيم. ص ٤١

١٨- وروي أن عبد الله بن أبي السمط أنشد بين يدي المأمون أبياتاً يمدحه بها ، فلما انتهى عند قوله :

أضحى إمام الهدى المأمون مشغلاً بالدين والناس بالدنيا مشاغل
قال له المأمون : ما زدت على أن جعلتني عجوزاً في محراب ، ويدها سبحة !
أعجزت أن تقول كما قال جرير في عمر بن عبد العزيز :
فلا هو في الدنيا مُضِيعٌ نصيبه ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله
ص ٤١

١٩- هذا الباعث - حب المال - يقذفه الله في نفوس قوم ، فيدعوهم إلى تسوية طرائق العمران ، وتشديد أركانه ، ويسلكه في قلوب آخرين فيترامى بهم إلى بث الفساد على وجه البسيطة ، وإثارة غبار التوحش في أرجائها. ص ٤٣

٢٠- حب المال هو الذي ينزع من فؤاد الرجل الرأفة ويجعل مكانها القسوة والفظاظة ، حتى إذا أظلم الأفق ، واسودّ جناح الليل^(١) تأبط خنجراً ، أو تقلد سيفاً ، وذهب يخطو خطأ خفافاً؛ ليأتي البيوت من ظهورها ، ويمد بسبب إلى أمتعتها ، فإذا دافعه صاحبها أذاقه طعم المنون ، وانصرف ثملاً بلذة الانتصار. ص ٤٣ - ٤٤

٢١- ولهذا افتقرت داعية حب المال إلى وازع يسدد طيشها ، ويكسر من

١- هذا تضمن من المؤلف ﷺ لقول عمر بن أبي ربيعة :

إذا اسود جناح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً إن حراسنا أسدا

كعوبها إلى أن تستقيم قناتها.^(١)

والوازع ما ورد في مجمل الشريعة ومُفَصَّلُها من الأصول القابضة على أيدي الهداجين حول اختلاسها، والعاملين على اغتصابها، أو التصرف فيها بغير ما يأذن به صاحبها. ص ٤٤

٢٢- الرشوة أخت السرقة، وابنة عم الاغتصاب، وإن شئت فقل: تزوج الاغتصاب بالسرقة، فتولدت بينهما الرشوة؛ لأنها عبارة عن أخذ مال معصوم خفية، ولكنه بسلطة على حين علم من صاحبه. ص ٤٥

٢٣- ولما كانت الرشوة عقبة كؤوداً في سبيل الحرية - أخذت الشريعة في تحريمها بالتي هي أحوط؛ فلا يسوغ للقاضي قبول الهدية إلا من خواص قرابته؛ لئلا تزل به مدرجاتها إلى أكل الرشوة، أو يتخذ اسم الهدية غطاءً للرشوة يسترها به عن أعين المراقبين لأحواله السرية. ص ٤٥

٢٤- فمن تحيز عن أمته، وطفق يرمي في وجوههم بعبارات الازدراء، وينفث في كأس حياتهم سُمّاً ناقعاً - لا نصِفُه بصفة الغيرة، والوطنية، وإن شغف بحب ديارهم، وقبلها جداراً بعد جدار.^(٢) ص ٤٩

١- هذا تضمنين للشاهد النحوي في باب نصب المضارع:

وكنـت إذا غمزت قناة قوم كسرت كعوبها أو تستقيما

٢- هذا تضمنين لقول الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبُّ الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولو تتبع أحد هذا الفن - أعني الاقتباس والتضمنين - في مؤلفات الشيخ رحمته الله لخرج بمادة علمية كبيرة.

٢٥- يريد كل امرئ أومضت فيه بارقةً من العقل أن يكون عِرضه محلّ التمجيد والثناء، وحرماً مصنوعاً لا يرتع حوله اللامزون.

وهاته الإرادة هي التي تبعثه على أن يبدد فريقاً من ماله في حل عقال السنة؛ لتكسوه من نسج آدابها حلة المديح، أو يسد بها أفواهاً يخشى أن تصب عليه مرائر أهدوثها علقماً، قال أحدهم:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا برك الله بعد العرض بالمال
وقد تتقوى هذه الداعية فتبلغ به أن يخاطر بحياته، وينصب جنبه لسهام الرزايا عندما يرجم بشتيمة تلوث وجه كرامته، ويتجهم بها منظر حياته، يقول أبو الطيب المتنبي:

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول
ولا يتفاضل الناس في مراقي الشرف والمجادة، أو تتسفل هممهم إلى هاوية الرذالة إلا بمقدار ما تجد بينهم من التفاوت في عقد هذه الإرادة قوة وانحلالاً؛ فبقوة هذه الإرادة يتجلى لنا في مظاهر الإنسانية مطبوعاً على أجمل صورة من الكمال، وبسبب ضعفها تنزل به شهواته من سماء الإنسانية إلى أن يكون حيواناً مهماً. ص ٥٣

٢٦- لا يحق للطاعن أن يتخطى المصائب التي يجهر بها صاحبها إلى النقائص التي يحرزها بغطاء الستر والكتمان. ص ٥٤

٢٧- في قوله - تعالى - : ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الحجرات ١٢.

وفي هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهو من باب القياس الظاهر؛ لأن عرض المرء أشرف من بدنه؛ فإذا قبح من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض أعراضهم بالطريق الأولى؛ فاللذام التي تلتصق بالشخص خُفْيَةً لا يسوغ لآخر تَكْشَفَ عليها أن يحرك بها لسانه، ويتمضمض بإذاعتها في المجمع إلا في مواضع يدور حكم الاستباحة فيها على درء مفسدة تنشأ عن عدم التعريف بها. ٥٤

٢٨- ولما تجاسر كثير من أهل الأهواء على اختلاق أحاديث يفترونها كذباً، ويسندونها إلى رسول الله ﷺ ليؤيدوا بها مزاعمهم، أو يقضوا بها حاجة في نفوسهم - قام العلماء بحق الوراثة المنوطة بعهدتهم من قبل صاحب الشريعة، وأخذوا في نقد ما يروى من الأحاديث؛ حتى يتميز الخبيثُ من الطيب، والصحيح من غير الصحيح؛ فاحتاجوا إلى التعرض لحالة الرواة، وإذا علموا من أحد سوءاً بادروا إلى الجهر به، وتعيين اسمه؛ ليحذروا الناس، ولا يتلقون روايته بالقبول. ص ٥٥

٢٩- وقد دارت هذه الكلمة - كلمة الحرية - على أفواه الخطباء، ولهجت بها أقلام الكاتبين ينشدون ضالتها عند أبواب الحكومات، ويقفون عند مكانها، وتمكين الراحة من مصافحتها - وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه. (١) ص ١٦

٣٠- ينصرف هذا اللقب الشريف - الحرية - في مجاري خطابنا اليوم إلى معنى يقارب معنى استقلال الإرادة، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من

١ - هذا تضمن لقول أبي الطيب المتنبى:

بَلَيْتُ بِلى الأطلال إن لم أف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

الاسترقاق.

وهو أن تعيش الأمة عيشةً راضيةً تحت ظل ثابت من الأمن ، على قرار مكين من الاطمئنان.

ومن لوازم ذلك أن يعيّن لكل واحد من أفرادها حدًّا لا يتجاوزه ، ويُقرّر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يدُّ غالبية؛ فإن في تعدي الإنسان الحدّ الذي قضت عليه أصولُ الاجتماع بالوقوف عنه - ضرباً من الإفراط.

ويقابله في الطرف الآخر حرمانه من التمتع بحقوقه؛ ليستأثر غيره بمنفعتها ، وكلا الطرفين شعبة من شعب الرذائل ، والحرية وسطٌ بينهما على ما هي العادة في سائر الفضائل. ص ١٦

٣١- ومن كشف عن حقيقتها - يعني الحرية - المفصلة ستارَ الإجمال أشرفَ على أربع خصال مندجّة في ضمنها :

أحدها : معرفة الإنسان ماله وما عليه؛ فإن الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية ، ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مقيد السواعد عن التصرف حسب إرادته واختياره ، حتى يستضيء بها خبرة ، ويقتلها علماً؛ إذ لا يأمن أن تطيش أفعاله عن رسوم الحكمة والسداد ، فيقع في خطيئة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً.

ولا يخالط الضمائر من هذا أن الحرية مقصورة على علماء الأمة العارفين بواجباتها؛ إذ للأمين منها مخلصٌ فسيحٌ ، وهو باب الاستفتاء ، والاسترشاد ، قال - تعالى - : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل : ٤٢ .

ثانيها : شرفُ نفس يزكي طويّتها ، ويظهر نواياها من قصد الاعتداء على ما

ليس بحق لها؛ فلا ترمي بهمتها إلا في مواضع تشير إليه العفة ببنائها.

ثالثها: إذعانٌ يدخل به تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الإنصاف، ويستنزله ريثما تحرر ذمته من المطالب التي توجه إليها باستحقاق.

رابعها: عزة جانب، وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل، ويدفع بها في قوة من يسوم عنقه بسوء الضيم والاضطهاد.

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان غير الحي والودد نستنتج من هذا البيان أن الأساس الذي ترفع عليه الحرية قواعدا ليس سوى التربية والتعليم؛ فيتأكد على الحكومة التي تنظر إلى فضيلة الحرية بعين الاحترام أن تسعى جهدها في تهذيب أخلاق الأمة، وتنوير عقولها بالتعليمات الصحيحة قبل كل حساب. ص ١٧

٣٢- قال - تعالى - : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ البقرة ١٧٩ .
لأن القصاص يكف يد العالم به عن إراقة الدماء، ونهب الأعمار؛ موافقة لداعية الهوى والضغائن الواغرة في الصدور؛ فيكون سبباً لحياة نفسين في هذه الناشئة، ولأن العرب كانوا يقتلون غير القاتل أحياناً؛ فإذا قتل عبد أو امرأة من قبيلة، وكانت القبيلة ذات شوكة وحمية لا ترضى إلا أن تقتل في مقابل العبد حراً، والمرأة رجلاً، وربما قتلوا جماعة بواحد، فتهيج الفتنة، وتشتعل بينهم حرب البسوس؛ فإذا كان القصاص مقصوراً على القاتل فاز الباقون بالحرية في حياتهم، واطمأنوا بها. ص ٥٩

٣٣- وشرع الإسلام الدية على القاتل؛ تخفيفاً ورحمة، وأقامها مقام القصاص

إذا رضي بها أولياء القتل، وآثروها على الأخذ بالثأر؛ فقد تكون الدية أصلح لهم من القصاص، وأجدي نفعاً، زيادة عما فيها من بقاء نفس مسلمة تناسل ذريتها في الإسلام. ص ٦٠

٣٤- لا يحل دم امرئ إلا لأسباب تكون الفتنة فيها أشد من القتل مثل الزنا من المحصن؛ فإن الزاني يبذر نطفته على وجه تجعل النسمة المخلقة منها مقطوعة عن النسب إلى الآباء، والنسب معدود من الروابط الداعية إلى التعاون والتعاقد؛ فكان السفاح سبباً لوجود الولد عارياً من العواطف التي تربطه بأولى قربي يأخذون بساعده إذا زلت به نعلُهُ، ويتقوى به اعتصابهم عند الحاجة إليه. وفيه جناية عليه، وتعرض به لأن يعيش وضعياً بين الأمة، مدحوراً من كل جانب؛ فإن الناس يستخفون بولد الزنا، وتنكره طبائعهم، ولا يرون له في الهيئة الاجتماعية اعتباراً.

ثم إن الغيرة التي طبعت في الإنسان على محارمه، والحرص الذي يملأ صدره عند مزاحمته على موطوءته مظنة لوقوع المقاتلات، وانتشار المحاربات؛ لما يجلبه هتك الحرمة للزوج، وذوي القرابة من العار الفظيع، والفضيحة الكبرى؛ فاقترض هذا الفاسد الناقض للعمران أن يفرضَ له حدٌ وجيعٌ وهو الرجم إن كان ثيباً، وهذا من الحدود المتوارثة في الشرائع السماوية كالقصاص والقطع في السرقة، وأما إن كان بكرًا فيجلد مائة جلدة. ص ٦١- ٦٢

٣٥- وشدد الإسلام العقوبة على من ارتد عن الدين بعد أن لبس هديه القويم؛ فأمر بدعوته إلى الإنابة والتوبة، فإن رجع وإلا ضرب بالسيف على

عنقه. ص ٦٥

٣٦- وإنما جُبرَ المرتدُّ على البقاء في الإسلام؛ حذراً من تفرق الوحدة، واختلال النظام؛ فلو خُلِّي السبيل للذين ينبذون الدين جهرة - ونحن لا نعلم مقدار من يريد الله أن يضلّه - نخشى من انحلال الجامعة، وضعف الحماية. وأهل الردة - وإن أصبحوا كاليد الشلاء لا تعمل في الجامعة خيراً - لا يخلوا بقاؤهم في شمل المسلمين - وهم في صورة أعضاء صحيحة - من إرهاب يلقيه كثرة السواد في قلوب المحاربين. ص ٦٥

٣٧- ثم إن لكل أمة سرائرَ من حيث الدولة لا ينبغي لها أن تطلع عليها غير أوليائها.

ومن كان متلبساً بصفة الإسلام شأْنُه الخبرة بأحوال المسلمين، والمعرفة بدواخلهم؛ فإذا خلع ريقة الدين - وقد كان بطانةً لأهله يلقون إليه سرائرهم - اتخذ المحاربون أكبر مساعد، وأطول يد يمدونها لنيل أغراضهم من المؤمنين. هذا تأثير أهل الردة على الإسلام من جهة الدولة والسياسة.

وأما تأثيرهم عليه من جهة كونه ديناً قيماً فإن المرتد يحمله المقلدون من المخالفين على معرفته بحال الدين، والخبرة بحقيقته تفصيلاً، فيتلقون منه كل ما ينسبه إليه من خرافات وضيعة، أو عقائد سخيفة يختلقها عليه؛ بقصد إطفاء نوره، وتنفير القلوب منه.

ولما كان عثرة في سبيل انتشار الدين وجبت إماطته كما يماط الأذى عن

الطريق. ص ٦٥

٣٨- وفي جعل عقوبة المرتد إباحةً دمه زاجرٌ للأمم الأخرى عن الدخول في الدين؛ مشايعةً للدولة، ونفاقاً لأهله، وباعثٌ لهم على التثبت في أمرهم؛ فلا يتقلدونه إلا على بصيرة، وسلطان مبين؛ إذ الداخل في الدين مداجاةً، ومشايعةً يتعسر عليه الاستمرار على الإسلام، وإقامة شعائره. ص ٦٦

٣٩- وأنت إذا جئت تبحث عن حال من ارتد بعد الإسلام لا تجد سوى طائفتين:

منهم من عانق الدين منافقاً؛ فإذا قضى وطره، أو انقطع أمله انقلب على وجهه خاسراً.

وبعضهم ربي في حجور المسلمين، ولكنه لم يدرس حقائق الدين، ولم يتلق عقائده ببراهين تربط على قلبه؛ ليكون من الموقنين؛ فمتى سنحت له شبهة من الباطل - تزلزلت عقيدته، وأصبح في ريبه متردداً.

وارجع بصرك إلى التاريخ كرتين؛ فإنك لا تعثر على خبر ارتداد مسلم نبت في بلد طيب نباتاً حسناً. ٦٦

٤٠- لا يخفى على متشرع بصير أن الملك والدين إخوان يشد كل منهما بعضد الآخر.

بل الدين رائد للملك، والملك تابعٌ للدين خادم له، وإن شئت فقل: هما كمثل إنسان: الدين عقله المدبر، والملك جسمه المُسَخَّر له، وذلك الإنسان هو ما نسميه الآن بالإسلام.

فبمقدار ما ترتبط الإدارة السياسية بالإدارة الدينية يكمل شبابه، وتجري

روح الاستقامة في أعضائه ، فتصدر أعماله قرينة الحكمة ، سالمةً من العيوب .
ومتى انفكت أولاهما عن أخراهما انحلت حُبوته ، وتناثرت أجزاءه تناثرَ
خَرَزِ مَكْوَرَةٍ على سطح محدَّب . ص ٦٧

٤١- فمن صَعَّدَ نظره في عصر الخلفاء الراشدين يجد السبب الذي ارتقى
بالإسلام ، وانسجم به في سبيل المدنية _ هو ما انعقد بين الدين والخلافة من
الاتحاد والوفاق .

ومن ضرب بنظره فيما يشاء من الدول التي حمي فيها وطيس الاستبداد يجد
المحرك لتلك الريح السموم ، والعثير المشوم _ ما اعترض بين هاتين السلطتين من
الاختلاف . ص ٦٧

٤٢- كان موضع العناية ، ومحل القصد من الإمارة في نظر أولئك الخلفاء ، ومن
حذا حذوهم كعمر ابن عبد العزيز _ هو خدمة الدين ، الذي هو خادم للعدالة ،
التي هي خادمة للصلاح ، قال الشيخ قبادو التونسي :
وما الجاه إلا خادم الملك لائذاً وما الملك إلا خادم الشرع حزمه
وما الشرع إلا خادم الحق مرشداً وبالحق قام الكون وانزاح ظلمه
ص ٦٧

٤٣- ولما انطوت أحشاؤهم على هذا المقصد الجميل أطلقوا سراح الرعية في
أمرهم بالمعروف ، وإحضارهم النصيحة ، مثل ما سبق في خطبة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)
وكقول عمر بن الخطاب : «أعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف ، وإحضاري
النصيحة ، وأعينوني على أنفسكم بالطاعة» .

وكانوا يوسعون صدورهم للمقالات التي توجه إليهم على وجه النصيحة،
 والتعريض بخطأ الاجتهاد وإن كانت حادة اللهجة، قارصة العبارة. ص ٦٨

٤٤- ثم خلف من بعد أولئك خلف عرفوا أن فطرة الدين وطبيعته لا تتحمل
 شهواتهم العريضة، وألفوا بلاط الملك فسيح الأرجاء، بعيداً ما بين المناكب.
 ولكنه لا يسعفهم على أغراضهم، وتتبع خطواتهم مادامت أوصاله ملتحمة
 بالإدارة الدينية، ولم يهتدوا حيلة إلى فارق بينهما سوى أن يسدوا منافس الأمر
 بالمعروف، والنهي عن المنكر دون دعاة الإصلاح، وابتكروا ضروباً من الخسف،
 وأفانين من الإرهاق كانوا يهجمون بها على الناس هجوم الليل إذا يغشى، وإذا
 سمعوا منادياً ينادي؛ ليحق الحق، ويبطل الباطل كلموه باللسنة السيوف. ص ٦٩

٤٥- ولما أبق الملك من حضانة الدين، وخفقت عليه راية الاستبداد خالط
 الأفئدة رعباً و أوجال كأنما مُزجت بطيبتها؛ فبعد أن كان راعي الغنم يفد من
 البادية، وعصاه على عاتقه، فيخاطب أمير المؤمنين ب: يا أبا بكر، ويا عمر، ويا
 عثمان، ويتصرف معه في أساليب الخطاب بقرارة جأش، وطلاقة لسان، وسكينة
 في الأعضاء - أصبح سيد قومه يقف بين يدي أحد الكبراء في دولة الحجاج
 فينتفض فؤاده رعباً، ويتلجلج لسانه رهبة، وترتعد فريصته وجلاً؛ يخشى أن
 يكون فريسة لبوادر الاستبداد. ص ٦٩

٤٦- إذا أنشبت الدولة برعاياها مخالب الاستبداد نزلت عن شامخ عزها لا
 محالة، وأشرفت على حضيض التلاشي والفناء؛ إذ لا غنى للحكومة عن رجال
 تستضيء بأرائهم في مشكلاتها، وآخرين تثق بكفاءتهم وعدالتهم إذا فوضت

إلى عهدتهم بعض مهماتها. ص ٧١

٤٧- والأرض التي اندرست فيها أطلال الحرية إنما تؤوي الضعفاء والسفلة، ولا تنبت العظماء من الرجال إلا في القليل، قال صاحب لامية العرب: ولكن نفساً حرة لا تقيم بي على الذل إلا ريشماً أتحوّل فلا جرم أن تتألف أعضاء الحكومة وأعوانها من أناس يخادعونها، ولا يبذلون لها النصيحة في أعمالهم، وآخرين مقرنين في أصفاد الجهالة يدبرون أمورها على حد ما تدركه أبصارهم.

وهذا هو السبب الوحيد لسقوط الأمة؛ فلا تلبث أن تلتهمها دولة أخرى، وتجعلها في قبضة قهرها، وذلك جزاء الظالمين. ص ٧١

٤٨- ثم إن الاستبداد مما يطبع نفوس الرعية على الرهبة والجبن، ويميت ما في قوتها من البأس والبسالة.

فمن في كفه منهم قناة كمن في كفه منهم خضابٌ فإذا اتخذت الدولة منهم حامية، أو ألّفت منهم كتيبةً عجزوا عن سد ثغورها، وشُلّت أيديهم من قبل أن يشدوا بعضدها. ص ٧١

٤٩- وإذا أردت مثلاً يثبت فؤادك، ويؤيد شهادة العيان فاعتبر بما قصه الله - تعالى - عن قوم موسى - عليه السلام - لما أمرهم بالدخول للأرض المقدسة، وملِكها كيف قعد بهم الخوف عن الطاعة، والامتثال، وقالوا: ﴿ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا ﴾ المائدة ٢٢.

فمتى جئت تسأل عن الأمر الذي طبع في قلوبهم الجبن، وتطوَّح بهم في

العصيان ، والمنازعة إلى قولهم : ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾
المائدة ٢٤.

وجدته خلف الانقياد المتمكن في نفوسهم من يوم كانت الأقباط ماسكة
بنواصيهم ، وتذيقهم من سوء الاستعباد عذاباً أليماً. ٧٢
٥٠- والأمة مفتقرة إلى الكاتب ، والشاعر ، والخطيب.

والاستبداد يعقد ألسنتهم على ما في طيها من الفصاحة ، وينث فيها لكنةً ،
وعياً ، فتلتحق لغتهم بأصوات الحيوانات ولا يكادون يفقهون قولاً. ٧٢

٥١- وإذا أضاءت على الأمة شمس الحرية ، وضربت بأشعتها في كل وادٍ -
اتسعت آمالهم وكبرت هممهم ، وتربت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الأعمال
الجليلة.

ومن لوازمها اتساع دائرة المعارف بينهم ، فتفتق القرائح فهماً ، وترتوي
العقول علماً ، وتأخذ الأنظار فسحة ترمي فيها إلى غايات بعيدة ، فتصير دوائر
الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها الحقيقية ، ولا يتحرفون عن
طرق سياستها العادلة. ٧٢

٥٢- والحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة ، فإذا نظمت الحكومة
منهم جنداً استماتوا تحت رايتها مدافعة لا يرون القتل سبةً إذا ما رآه الناكسو
رؤوسهم تحت راية الاستبداد. ٧٢ - ٧٣

٥٣- ثم إن الحرية تعلم اللسان بياناً ، وتمد اليراعة بالبراعة ، فتزدهم الناس
على طريق الأدب الرفيع ، وتتنور المجامع بفنون الفصاحة ، وآيات البلاغة؛ هذا

خطيب يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصرة الحقيقة، ويحرك العواطف، ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة، وآخر كاتبٌ، وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة. ٧٣

٥٤- ولم تكن ينابيع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين فاعرةً أفواهاً بفن المديح والإطراء، وإنما ترشح به رشحاً؛ وتمسح به مسحاً لا يضطهد من فضيلة الحرية فتيلاً.

وما أنفلت وكاؤها، وتدفت بالمدائح المتغالية إلا في الأعصر العريقة في الاستبداد. ٧٣

٥٥- ولما قر في صدر عمر بن عبد العزيز من تنظيم أمر الخلافة على هيئته الأولى لم يواجه الشعراء بحفاوة وترحاب، وقال: مالي وللشعر، وقال مرة: إني عن الشعر لفي شغل.

انتجعه جرير بأبيات، فأذن له بإنشادها، وقال له: اتق الله يا جرير ولا تقل إلا حقاً.

وعندما استوفاهما واصله بشيء من حرّ ماله، فخرج جرير وهو يقول: خرجت من عند أمير يعطي الفقراء، ويمنع الشعراء، وإني عنه لراضٍ، ثم أنشد يقول: رأيت رقى الشيطان لا تستفزه وقد كان شيطاني من الجن راقياً

ص ٧٣

٥٦- ومن مآثر الاستعباد ما تتجشأ به اللُّها، وتسيل به الأقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها أنها صدرت من دواخل قلب استشعر

ذلة ، وتدثر صغاراً نحو «مُقْبَلٌ أَعْتَابَكُمْ» «المتشرف بخدمتكم» «عبد نعمتكم»
ولا إخال أحداً يصغي إلى قول أحد كبراء الشعراء :

وما أنا إلا عبد نعمتك التي نسبت إليها دون أهلي ومعشري
إلا ويمثّل في مرآة فكره شخصاً ضئيلاً يحمل في صدره قلباً يوشك أن ينوء
بحمله بما فيه من الطمع والمسكنة. ص ٧٤

٥٧- ومن سوء عاقبة الخضوع في المقال أن يوسم الرجل بلقب وضيع ينحته
الناس من بعض أقوال له أفرغ فيها كثبةً من التذلل ، وبذلِ الهمة ، كما سموا
رجلاً باسم «عائد الكلب» لقوله :

إني مرضت فلم يعدني واحد منكم ويمرض كلبكم فأعود
ص ٧٤

٥٨- ولا نجهل أن بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذ
سليماً؛ ليظفر بحق ثابت ، ولكنه لا ينافي الغرض الذي نرمي إليه من أن الحقوق في
دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق ، وفي دولة الاستبداد لا تطالب إلا بصفة
الاستعطاف؛ وذلك الوزير الذي يحبط بفضل العزة التي نبهنا الله عليها ، وأرشد من
يريدها إلى أنها تطلب بالطاعة من الكلم الطيب ، والعمل الصالح فقال - تعالى - :

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فاطر ١٠. ص ٧٤

عاشراً: نقولات مختارة من كتاب:

نقض كتاب: في الشعر الجاهلي للشيخ محمد الخضر حسين

وهذا الكتاب رد على كتاب: في الشعر الجاهلي لطفه حسين، وهذه نبذة مختارة من بعض ما جاء فيه:

١- نهضت الأمم الشرقية فيما سلف نهضة اجتماعية ابتدأت بطلوع كوكب الإسلام، واستوثقت حين سارت هدايته سيرها الحثيث، وفتحت عيون هذه الأمم في طريقة الحياة المثلى. ص هـ

٢- تمتع الشرف بنهضته الاجتماعية والأدبية حقاً، ثم وقف التعليم عند غاية، وأخذ شأناً غير الشأن الذي تسمو به المدارك، وتنمو به نتائج العقول، فإذا غفوة تدب إلى جفون هذه الأمم، ولم تكد تستفيق منها إلا ويدٌ أجنبية تقبض على زمامها. ص هـ

٣- هبَّ بعضُ أولي الحكمة منا يقلبون وجوههم في العلل التي مسّت أمم الشرق فقعدت بهم سنين عدداً، وبعثوا أقلامهم من مراقدها تصف هذه العلل، وتنذر الناس موتة اليأس، والجبن، والخمول، وتلقي عليهم دروساً في أسباب الحياة، ووسائل الخلاص. ص هـ- و

٤- التفت الشرق إلى ما كان في يده من حكمة، وإلى ما شاده من مجد، وإلى ما شاب في مهده من أعظم الرجال، أخذ ينظر إلى ماضيه؛ ليميز أبنائه بين ما هو تراث آبائهم، وبين ما يقتبسونه من الغرب، وليشعروا بما كان لهم من مجد شامخ؛ فتأخذهم العزة إلى أن يضموا إلى التالد طريفاً، وليذكروا أنهم ذرية

أولئك السَّراة ، فلا يرضوا أن يكونوا للمستبدين عبيداً. ص و

٥- أنشأ أولو الأحلام الراجحة من الزعماء والكتاب يأخذون بما يظهر من جديد صالح ، ولا ينكتون أيديهم من قديم نافع؛ فاستطاعوا بهذه الحكمة والروية أن يسلكوا قلوب الأمة في وَحْدَةٍ ، ويخطوا بها إلى حياة العلم ، والحرية ، والاستقلال. ص و

٦- نظر إلى هذه النهضة الزاكية مَنْ لا يرغبون في تقدم هذه الأمم إلى خلاصها ولو خطوة ، وعرفوا أن بأيدي هذه الأمم كتاباً فيه نظم الاجتماعية ، وآيات تأخذ في شرط إيمانهم به - ألا يلينوا لسلطة شأنها أن تسوسهم على غير أصوله؛ فما كان من هؤلاء القوم الذين يستحلون إرهاب الأمم إلا أن يبتغوا الوسيلة إلى فتنة القلوب ، وصرفها عن احترام ذلك الكتاب.

والغاية تقويضُ بناء هذه الوحدة السائرة بنا إلى حياة سامية ، وعز لا يبلى.

ص و

٧- فسقت طائفة عن أدب الإسلام ، أو أرهفت أقلامها؛ لتعمل على هذه الخطة الخاذلة غير مبالية بسخط الأمة ، ولا متحرجة بما سينطق به التاريخ من وضع يدها في يد خفية لا شأن لها إلا نصب المكاييد لأمة كان لها العزم النافذ ، والكلمة العليا. ص ز

٨- تلهج هذه الطائفة باسم حرية الفكر ، وهي لا تقصد إلا هذا الفن الذي أكبَّت عليه صباحها ، ومساءها وهو النيل من هداية الإسلام ، والغض من رجال جاهدوا في سبيله بحجة وعزم وإقدام.

ويكفي شاهداً على رياء هؤلاء الرهط أنهم يقيمون مآثم يندبون فيها حرية الفكر، ثم ينصرفون ويقولون فيما يكتبون: للحكومة أن ترهق الشعب، وترغمه على ما تراه أمراً لاثقاً.

ولو سبق إلى ظنك أن مؤلف كتاب «في الشعر الجاهلي» هو عينهم الناضرة، وسهمهم الذي يرمون به في مقاتل أمتهم الغافلة خلّيت بينك وبين هذا الظن؛ إذ ليس لي على هذه الظنون الغالبة من سبيل. ص ذ

٩- فالقلم الذي يناقش كتاب «في الشعر الجاهلي» إنما يطاءً موطئاً يغيب طائفة احتفلت بهذا الكتاب، وحسبته الطعنة القاضية على الإسلام وفضل العرب ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾. ص ز

١٠- وقع نظري تحت هذا الكتاب، وكنت على خبرة من حذق مؤلفه في فن التهكم ولو بالقمر إذا اتسق، والتشكيك ولو في مطلع الشمس الضاربة بأشعتها في كل واد؛ فأخذت أقرأه بنظر يزبح القشر عن لبابه، وينفذ من صريح اللفظ إلى لحن خطابه.

وما نفضت يدي عن مطالعة فصوله، حتى رأيتها شديدة الحاجة إلى قلم ينبّه على علائها، ويردّ كل بضاعة على مستحقها.

وما هو إلا أن ندبت القلم لقضاء هذه المآرب، وسداد هذا العوز فلم يتعاص عليّ. ص ١

١١- و إنا لا نغمض لذلك الكتاب في مقال ينهبه، أو غمز في الإسلام يستعذبه؛ فإنا وجدّتنا نحاوره في نهب أو غمز فإنا لم نخرج عن دائرة نقده، ولم

نتجاوز حد الباحث في مقتضيات لفظه؛ فإن كان في فمك ملامٌ فمُجَّهٌ في سمعه؛ فهو الذي ألقى على سمعك نحواً من حديث قوم لا يتدبرون. ص ٢

١٢- جدُّ البحث لا تكفي لإعلاء شأن التأليف، وإحرازه في نفوس القراء موقع القبول.

وإنما يرجح وزن الكتاب بمقدار ما يتجلى فيه من حكمة النظر، وصدق المقدمات، ووضوح النتيجة. ص ٣

١٣- كنا نتمنى أن يهتدي المؤلف إلى نحو من البحث «لم يألفه الناس عندنا من قبل» وقد أبت الليالي أن تسمح بهذه الأمانة، فلم يكن منه إلا أن أغار على كتب عربية، وأخرى غربية، فالتقط منها آراءً، وأقوالاً نظمها في خيوط من الشك والتخيل، وقال: «هذا نحو من البحث في تاريخ الشعر العربي جديد». ص ٣ - ٤

١٤- فإعجاب الرجل ببحثه، وإيمانه به إيماناً لا يعرف أنه شعر بمثله - لا يكسبان البحث ذرة من قوة، ولا يدينانه من الحقيقة فتيلاً. ص ٤

١٥- كم كتاب صنع ليطعن حقاً، وكم كتاب صنع ليمحو أدباً، ولا يعجز أحد من صانعي هذه الكتب أن يقول: وأنا مطمئن إلى أن هذا البحث وإن أسخط قوماً فسيرضي هذه الطائفة المستنيرة، ويأتي في وصف هذه الطائفة على كل ما تحمله اللغة من ألقاب المديح والإطراء.

ولكن الذي يعجز عنه، ولا يهتدي إليه طريقاً أن يصدق اطمئنانه، ويأخذ كتابه في نفوس الطائفة المستنيرة مأخذ الرضا؛ فإن هذه الطائفة إنما تقاد بزمام الحجة، وصدق اللهجة، لا بكلمات تُحرّف عن مواضعها، وشُبّه من الباطل

تخرج في غير براقعها. ص ٤ - ٥

١٦- وما على العلماء النقاد إلا أن يكونوا لهؤلاء الكتاب بالمرصاد، ويعرضوا أقوالهم على قانون العلم الصحيح؛ فإما أن يرجح وزنها؛ فيرفعوا لها ذكراً، وإما أن يطيش وزنها، فينسفوها بالحجج الرائعة نسفاً. ص ٦

١٧- وأبى قلمه أن يسلو حرفة الغمز، فسلك في كثير من المواضع طرق المهرة من الكتاب في صوغ عباراتٍ ظاهرها البحث في الشعر الجاهلي، وباطنها الدعاية إلى غير سبيل المؤمنين.

ولو صح أن تعصر هذه العبارات لتقاطر من خلالها قذفٌ فاحش، وفسوق كثير. ص ١٦ - ١٧

١٨- ألم يكن من أدب الأستاذ أن يربي نفوس التلاميذ على عزة ونخوة. ومن أسباب عظمة النفس ومقامرتها في الشرف شعورها بأنها غصن من شجرة نبتت نباتاً حسناً، وآتت أكلها ضعفين. ص ١٣٤

١٩- إن شعور نشأنا بما كان للشرق من حلوم راجحة، وحياة علمية زاهرة ليجعلهم من سمو الهمة، وقوة العزم بمكان لا تحظى به نفوس يقال لها: انسلخي من شرقيتك؛ إنها مردولة، اخرجي في صبغة غربية؛ إنها أخذت الكمال من جميع أطرافه؛ ص ١٣٥

٢٠- تدرس الأمم الراقية تاريخها؛ لأنه علم، وتعنى بدرسه؛ لأنه يفضي إلى أبنائها بما كان لسلفهم من مآثر فاخرة؛ فيدخلون معترك هذه الحياة بشعور سام، وهمم يصغر لديها كل خطير.

أما المؤلف فإنه يدس في محاضراته فقراتٍ شأنها الإزراء بأي قومية شرقية، وقد نفذت هذه الدسيسة في نفر حتى تيسر لها أن تجمع في نفوسهم بين المهانة والغرور. ص ١٣٥

٢١- فالتاريخ يشهد بأن في العرب رجالاً أنفقوا في سبيل الإسلام كل ما استطاعوا من قوة، وسيرتهم تنطق بأنهم أقاموا الدعوة إليه بعقيدة أنه هداية، ومنبع سعادة.

وسواء عليهم بعد ذلك الجهاد الحق أن يعيشوا به أعزة سعداء، أو يموتوا شهداء. ص ١٤٠

٢٢- فإن في الإسلام حجةً وحكمة تأخذان ذوي الفطر السليمة، والعقول السامية إلى أن يتصلوا به، ويرضوه، ولو نسلت عليهم الخطوب من كل حذب. ص ١٤١

٢٣- أما الضغائن التي ظهرت، والفتن التي استيقظت فلم يكن منشؤها نقصاً في التشريع كما يزعم المؤلف، بل سببها قلة العلم بالتشريع، وعدم القدرة على التطبيق، أو تغلب الأهواء؛ إذ لا عصمة إلا لأنبياء الله المصطفين. ص ١٥٠

٢٤- يسهل على المؤلف أن يضع إصبعه في سيرة يزيد بن معاوية، أو حماد الراوية؛ لأنه يجد في التاريخ الصحيح، أو الباطل ما يعبر به إلى الحديث عنهما بغلو أو إغراق، ثم لا يعدم أذنًا تصغي إليه، أو قلباً يتلهى به.

أما عمر بن الخطاب فإن سيرته متجلية تحت نبراس من التاريخ الصحيح لا يستطيع القلم أن يغير منها لونا، أو يسومها كيداً، وإن ركب منهج ديكارت، وتناول زاده من حقبة مرجليوث. ص ١٥٦

٢٥- ومن لا يدري ما الإيمان ولا الإخلاص قد يجيء على باله أن يشتري سكوت المؤمنين المخلصين بكلمة مديح أو إطراء. ص ٢٤٧

٢٦- إننا أمة بحث ونظر نذهب مع العلم كل مذهب ، ولا نقف لحرية الفكر في طريق ، وإنما نحن بشر ، والبشر تأبى قلوبهم إلا أن تزدري أقلاماً تثب في غير علم ، وتحاور في غير صدق.

وإنما نحن بشر ، والبشر تأبى لهم أقلامهم إلا أن تطمس على أعين الكلمات الغامزة في شريعة محكمة ، أو عقيدة قيمة. ص ٣٦٢

الحادي عشر : نقولات مختارة من كتاب :

هدى ونور للشيخ محمد الخضر حسين

«تعريف مختصر بالكتاب» :

هذا كتاب للمؤلف رحمته الله أعده وضبطه ابن أخيه الأستاذ علي الرضا الحسيني ،
والفقرات الآتية مقال كتبه المؤلف بعنوان «خواطر» وقد نشرت هذه الخواطر
على حلقتين في مجلة «البدر» الصادرة باسم «العرب» الجزء الرابع من المجلد
الثالث في شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٢ ، والجزء السابع من المجلد الثالث الصادر
في شهر رجب ١٣٤٣ هـ.

يقول رحمته الله :

١- إن كبر عقلك ، فأصبح يعلمك ما لم تعلم ، واتسع خيالك ، فبات يلقي
عليك من الصور البديعة ما يلذه ذوقك _ فأنت ما بين أستاذ يحض نصيحته ،
ونديم لا تمل صحبته.

٢- يعلمك الأستاذ كيف تغوص في عميق البحار ، ويريك نموذجاً من الدر
يتميز بينه وبين الأحجار ، وهمتك تخلد بك إلى الإملاق ، أو تجعلك المجلي في
حلبة السباق.

٣- سميت الاستخفاف بالشرع حرية ، فقلت : برع في فن المجاز ، وتهكم بمن
أصبح عبداً للهوى ، وسميت النفاق كياسة ، فقلت : خان الفضيلة في اسمها ، أو
خانه النظر في فهمها.

٤- تنظر النفس في سيرة الرجل العظيم كما تنظر العين في الزجاجاة النقية ،

فتدرك مساويها؛ أفلا تصنع بمأثرك الحميدة مرآة يبصر بها الناشئ بعدك صورته
الروحية فيصلحها.

٥- سرت والنورُ أمامك، فانطلق ظلك على أثرك، ثم وليته قفاك، فكان
الظل يسعى وأنت على أثره، وهكذا العقل، يتقبل فيتبعه الخيال، فإذا أدبر عنها
انقلب الخيال إلى الأمام، وقاده في شعب الباطل بغير لجام.

٦- تبسط لسانك بالنكير على من يقلد في الدين، ولولا أنك تتلقى قول
الفيلسوف على غير هدى، لقلت: باكورة الاجتهاد قد أينعت.

٧- هذه الدنيا كالعدسة الزجاجية في الآلة المصورة، تضع الرأس بموطئ
القدم، وترفع القدم إلى مكان الرأس؛ فزنوا الرجل بمآثره لا بما يبدو لكم من
مظاهره.

٨- يبسط الشجر ظله للمقبل، ويقف بعد موته بقناديل الكهرباء على سواء
السييل؛ أفانت تجير البؤس وهو أحر من الرمضاء، وتوقد سراج حكمة يهدي
بعد موتك إلى المحجة البيضاء.

٩- يصنع الصانع الحلي، وتضع ما تتجمل به النفوس في محافل العلى، فإن
ظلت تتهافت على صانع الخواتم والسلاسل فاعلم أنها ما برحت لاهية عن هذه
المحافل.

١٠- حسبت العلم ضلالاً فناديت إلى الجهل، وآخر يزعم التقوى بلهاً فكان
داعية الفجور، ولولا ما تلقيناه في سبيلنا من هذه الأرجاس، لكنا خير أمة
أخرجت للناس.

- ١١- ربما كان صانعُ الأستة أرقَّ عاطفةً من الطبيب ، والسفيه أحفظ للحكم البالغة من الأديب ، ولكني أطلب نفس الرجل حثيثاً ، وأناجيها فلا تكتمني حديثاً.
- ١٢- كان هذا الغصن رطيباً ، وعيش البلبل به خصيباً ولكنه سحب عليه ذيل الخيلاء ، فأصبح يتقلب في ذلك البلاء ، ويرتجف كما ترتجف اليد الشلاء.
- ١٣- كل جوهرة من عقد حياة محمد _ عليه السلام _ معجزة ؛ فإن أساليب دعوته ومظاهر حكمته لا يربطها بحال الأمية إلا قدرة تتصرف في الكائنات بحكمة أبلغ مما تستدعيه طبائعها.
- ١٤- العفاف نور تستمدّه النفس من مطلع العقل ، فإن ضرب عليها الهوى بخيمته السوداء ، خسفت كما يخسف القمر إذا حجزت الأرض بينه وبين الشمس .
- ١٥- ينزوي البحر ؛ فتضع السفينة صدرها على التراب ، وينبسط ؛ فتمر على الماء مرَّ السحاب .
- والعقل يظل في موقعه من النفس طريحاً ، فإن فاضت عليه الحكمة سار في سبيل النظر عنقاً فسيحاً .
- ١٦- إن تخبطك السفه أهانوك ، وإن قعد بك البله أعانوك ؛ لأنك تستطيع أن تكون تقياً ، وليس في يدك أن تكون ألعياً .
- ١٧- تتجلى فضيلتك ؛ فتنسج في هذه النفس عاطفة أرق من النسيم ، وتوقد في أخرى حسداً أحر من الجحيم ، وكذلك المزن ينسكب على أرض ؛ فتبتسم بثغر الأقحوان ، وينزل على أخرى ؛ فتقطّب بجمهة من حَسَكِ السعدان .
- ١٨- جنيتُ وردةً لأُخلّصها من الشوك الذي يساورها من كل جانب ، فما

لبث أن طفئت بهجتها، وسكنت أنفاسها؛ فعلمت أن النفوس الزاكية لا تتخلص من النوائب إلا يوم تموت.

١٩- الشر نار كامنة في قلوب تحملها صدور المستبدين، فإن قدحَها بنقد سياستهم كنتَ لها قوتاً، إلا أن تكون بإخلاصك وحكمتك البالغة ياقوتاً.

٢٠- إذا قلت في السياسة ما لا تفعل، أوهمتَ في واد لا تعرج فيه على حقيقة- فانفض ثوبك من غبارها؛ فإنه ليس من الغبار الذي يصيبك في سبيل الله.

٢١- إنما يقطف الفيلسوف من المنافع ما تتفتق عنه أكمّام الحقيقة، ولا يعرج السياسي بنظره على الحقائق إلا إذا أطلّت عليه المنفعة من ورائها.

٢٢- لا تجادل المعاند قبل أن يأخذ الاستهزاء به في نفسك مكان الغضب عليه؛ فالغضب دخان يتجهم به وجه الحجة المستنيرة، وابتسام التهكم برقه يخطف البصر قبل أن تقع صاعقة البرهان على البصيرة.

٢٣- لا يمنعك من وضع المقال على محك النظر أن تتلقاه ممن هو أصفى منك ذهنًا أو أرجح وزنًا؛ فإن الورق لا يقبل ما يرسم في الزجاجاة من الصور إلا بعد إصلاح خطئها، وإعادته الألوان إلى مبدئها.

٢٤- أرى موقع الليل من هذه البسيطة لا يفوت مقدار نهارها، فرجوت أن لا يكون الباطل أوسع مجالاً من الحقيقة، ولكن الشمس ترمز بكسوفها إلى أن أخطأت في القياس، وبنيت رجائي على غير أساس.

٢٥- العالم بستان، تجوّل فيه الفيلسوف فقال: كيف نشأت هذه الأزهار والثمار؟ ولماذا اختلفت في النعوت والآثار؟ وطاف فيه السياسي فقال: متى

يقطف هذا الثمر؟ وتؤتي تلك الشجرة أكلها؟

٢٦- سكبت ماءً حاراً في زجاجة؛ فتأثر أحد شطريها بالحرارة، واستمر الآخر على طبيعة البرودة؛ فتصدع جدارها.

وكذلك النفوس الناشئة على طبائع مختلفة لا يمكن التثامها.

٢٧- كان لسان الدين بن الخطيب جنة أدب تجري تحتها أنهار المعارف فأتت أكلها ضعفين، ولكن تنفست عليه السياسة ببخار سام؛ فخنقته، وشب نار الحسد في القلوب القاسية؛ فأحرقته.

٢٨- تلهج بأن الشيخ لا يسوس المصلحة بحزم، فإن بلي برُد شبابك ولم تُلق زمامها من تلقاء نفسك، فقد فندت رأيك، أو أضمرت العبث في السياسة.

٢٩- في الناس من لا يلاقيك بثغر باسم إلا أن تدخل عليه من باب البله، أو تلطخ لسانك بحمأة التملق؛ فاحتفظ بألمعيتك وطهارة منطقك، فإنما يأسف على طلاقة وجهه قوم لا يعقلون.

٣٠- بين جناحك قوة تجذب إلى جوارك العمل وهي الإرادة؛ فاستعد بالله أن تكون كالجاذبية الأرضية تستهوي الصخرة الصماء إلى النفس المطمئنة؛ فتمحقها.

٣١- شددت وصلك إلى سوق العرفان؛ ليقتني ما يلدُّ ذوقك من درر حسان؛ فإذا اغبرت لؤلؤة إيمانك بوسواس المفتون فقد خسرت تجارتك ولو أصبحت تتهمك على آراء أفلاطون، وكشف لك من الكيمياء والزراعة عن كنوز قارون.

٣٢- لا ترسل فكرك وراء البحث عن حقيقة قبل أن ينفخ فيه روح الاستقلال؛ فإن التقليد موت، وما كان لجثث الموتى أن تغوص الأبحر العميقة.

٣٣- لا عجب أن يتفجر بين أيديهم ينبوع الآداب صافياً، وتهوى أنفسهم أن تغترف غُرْفَةً من مستنقعها الأقصى؛ فإن من الأبصار المعتلة ما لا يقع نظره إلا على شبح بعيد.

٣٤- النفس راحلةٌ تحمل أثقالك إلى بلد السعادة؛ فإن لم تسربها إثر الشريعة القيمة، أولجت بك في مهامه مُغْبِرَّةٍ، وإن بلغت في الفلسفة ما بلغ شاعر المعرفة.

٣٥- سيروا في تهذيب الفتاة على صراط الله المستقيم؛ فإن منزلتها من الفتى منزلةٌ عَجَزَ البيت من صدره، ولا يحسن في البيت أن يكون أحدُ شطريه محكماً والآخر متخاذلاً.

٣٦- لا يدرك أعشى البصيرة من الحقائق المتناسقة غير أشجار ذات أفنان، وثمار ذات ألوان، وإنما ينقب عن منابتها وأطوار نشأتها ذو فكرة متيقظة.

٣٧- لا تداهنوا المولعَ بقتل حريتكم؛ فأبخس الناس قيمة من تصرعه الخمر، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، ثم لا يلبث أن يلبسها من تسبيح مدحه حللاً ضافية.

٣٨- إن من الجهال من يرمي به الزمن على مقام وجيه؛ فعَلَّمَهُ بسير تلك القيمة أن الجهالة لا ترجح على العلم وزناً وإن وضع بإزائها السلطة الغالبة، أو الثروة الطائلة.

٣٩- بذرت أيام الشباب آمالاً لم تقطف ثمرها إلا حين أقبل المشيب، وهل يتمنى الحاصد للثمار يعود إلى أيام الحراثة والزراعة والانتظار؟!

٤٠- يكفي الذي يسير في سبيل مصلحة الأمة، وهو يرقب من ورائها منفعة لنفسه أن يكون في حل من وخزات أقلامها، وإنما يحمد الذي يجاهد لسعادتها،

وهو لا يرجو نعماء ينفرد بها في هذه الحياة.

٤١- لا تنقل حديث الذي يفضي به إليك عن ثقة بأمانتك ، ويمكنك - متى كان يرمي إلى غاية سيئة - أن تجعل مساعيك عرضة في سبيله؛ فتحفظ للمروءة عهدها ، وتقضي للمصلحة العامة حقها.

٤٢- لو فكرت في لسانك حين يتعرض لإطراء نفسك لم تميزه عن السنة تقع في ذمها إلا بأنة يلصق بك نقيصه ، لا يحتاج في إثباتها إلى بينة.

٤٣- ألا ترى الماء الذي تقع في مجارية الأقدار ، كيف يتهجم منظره ، ويخبث طعمه؛ فاطرد عن قلبك خواطر السوء؛ فإنه المنبع الذي يصدر عنه عملك المشهود.

٤٥- قد يقف لك الأجنبي على طرف المساواة ، حتى إذا حل ووطنك متغلباً طرحك في وهدة الاستبعاد ، واتخذ من عنقك الحر موطئاً.

٤٦- لا يحق للرجل أن يكاثر بمن يتقلد رأيه على غير بينة ، إلا إذا وازنه وقارنه بالصحف المطوية على آثارهم في نسخ متعددة.

٤٧- إن هذا الزجاج يصنع كأساً ليصير الحليم فينا سفيهاً
ويصوغ الدواة تلقاء هذا ليرى خامل الشعور نبهاً
مثلُ الفيلسوفِ ينفث غياً ثم يأتي لما يروق الفقيهاً

٤٨- جرس يصيحُ كحاجب طلقُ اللسان معرِب
حيناً ينوح كموجع من لطمة المتعمد
والآن زنَّ كمزهر جستَه أنمل معبد
زار الصديق فهزة من بعد ضغطة جلمد
فحدا كما يحدو الهزا ر على الغصون الميّد
والود يسكن في الحشا لكن يحس من اليد

الثاني عشر : نقولات مختارة من كتاب :

أليس الصبح بقريب للشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور

« نبذة عن المؤلف » :

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، ولد في ضاحية المرسى في تونس سنة ١٢٩٦ هـ بقصر جده للأم الصدر الوزير محمد العزيز بو عتور. وقد شب في أحضان أسرة علمية، ونشأ بين أحضان والد يأمل أن يكون على مثال جده في العلم والنبوغ والعبقرية، وفي رعاية جده لأمه الوزير الذي يحرص على أن يكون خليفة في العلم والسلطان والجاه.

تلقى العلم كأبناء جيله؛ حيث حفظ القرآن، واتجه إلى حفظ المتون السائدة في وقته، ولما بلغ الرابعة عشرة التحق بجامع الزيتونة سنة ١٣١٠، وشرع ينهل من معينه في تعطش وحب للمعرفة، ثم برز ونبغ في شتى العلوم سواء في علوم الشريعة، أو اللغة، أو الآداب أو غيرها.

وله مؤلفات عديدة في شتى الفنون، منها تفسيره المسمى بالتحريير والتنوير، ومقاصد الشريعة، وأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وكشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ورد على كتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق، وأصول التقدم في الإسلام، وأصول الإنشاء والخطابة، وغيرها كثير.

توفي رحمه الله يوم الأحد ١٣ رجب ١٣٩٣ هـ.

وإذا أردت التوسع في ترجمته فارجع إلى كتاب شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، تأليف د. بلقاسم الغالي.

«تعريف بالكتاب» :

هذا الكتاب الذي بين أيدينا سماه مؤلفه : «أليس الصبح بقريب»

وقد كتبه رحمته الله عام ١٣٢١هـ وعمره أربع وعشرون سنة.

وقد قصد من كتابه إصلاح التعليم العربي والإسلامي ، وتكلم من خلاله على أحوال العلوم الإسلامية ، وطرائق تعليمها ، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها.

ويمكن إجمال ما تكلم عليه في ذلك الكتاب الماتع بما يلي :

١- أطوار التعليم في الأمة العربية قبل الإسلام ، وفي أشهر الأمم المعاصرة للعرب.

٢- أطوار التعليم العربي عند ظهور الإسلام وبعد ظهوره.

٣- نقل العلوم الفارسية والهندية واليونانية.

٤- وصف التعليم الإسلامي وأساليبه ، ومناهجه.

٥- الطريقة في معرفة أهلية المتصدي للعلم.

٦- صفة الدروس ، ومواضع التعليم.

٧- الكتاتيب ، وأوليتها في الإسلام.

٨- معاهد تعليم المرأة.

٩- تعليم المرأة.

١٠- انبثات العلوم الإسلامية في الأقطار: في مصر وأفريقية ، والأندلس ،

وبلاد الفرس ، والمغرب الأقصى.

- ١١- مواضع التعليم فيها ، وأسلوب التعليم.
 - ١٢- طور التفكير العلمي ، والمشاركة في العلوم.
 - ١٣- الكتب التي كانت تزاوّل.
 - ١٤- تفصيل لمواضع التعليم في تونس ، وأسماء علماء تونس.
 - ١٥- حديث التأليف ، وتاريخ أطوارها ووجوه إصلاحها.
 - ١٦- حديث عن العلوم ، وتفصيل في تقسيمها.
 - ١٧- تفصيل عن علوم الشريعة وعلوم اللغة ، والمنطق والتاريخ ، والفلسفة والرياضيات.
 - ١٨- حديث عن المعلمين ومراتبهم.
 - ١٩- حديث عن الامتحانات.
 - ٢٠- تطرّق الانتقاد للنظام التدريسي.
- إلى غير ذلك من المباحث الرصينة ، والتحريرات العالية ، والتحقيقات الرائعة الماتعة التي قل أن توجد في غير هذا الكتاب.
- ولقد أودع المؤلف رحمه الله هذا الكتاب نظراته الفاحصة ، وانتقاداته الموفقة ، وآراءه السديدة ، ومقترحاته الدقيقة ، وملاحظاته القيمة التي كانت سبباً للنهوض بالتعليم في بلاده وغيرها.
- كل ذلك بأسلوب أخّاذ ، ولغة عالية ، ونفس مستريضة.
- وما أجدر دعاة إصلاح التعليم أن يدرسوا هذا الكتاب ، ويفيدوا مما فيه من العلم ، والتجارب.

والكتاب يقع في ٢٧٦ صفحة ، توزيع الشركة التونسية للتوزيع.

«نقول من كتاب أليس الصبح بقريب» :

١- قد كان حدا بي حادي الآمال ، وأملَى عليّ ضميري ، من عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف ، للتفكر في طرق إصلاح تعليمنا العربي الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلماً ومعلماً بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق؛ فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابه ، ولم أنشَبْ أن أزجيت بقلممي في ابتداء التحرير فإذا هو يسابقيني كأنه من مطايا أبي العلاء القائل :

ولو أن المطي لها عقول وجدك لم تشد لها رحالا
ص ٥

٢- وصادفتُ أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام ، فقضيتُ هواجرها الطويلة ، وبُكرها الجميلة ، في هذا العمل ، مشغلاً به عن محادثة الأحاب ، وعن دعة التنعم بمغتسلٍ بارد وشراب ، حتى وقف بي القلم عند انتهاء الاستراحة في مدة شهرين إلى تحرير جملة كانت مشجّعتي على مراجعة عملي هذا في ثلاثة أصياف وعنونته «أليس الصبح بقريب» .

وكان من العزم تهذيبه وإصداره ، فحالت دون ذلك موانع جمّة ، لم تزل تطفو وتركد ، وتغفو وتسهد ، غير أنني لم أدع فرصة إلا سعيّت إلى إصلاح التعليم فيها بما ينطبق على كثير بحسب ما سمحت به الظروف ، وما تيسر من مقاومة صانع منكر ومانع معروف ، ما حرك سواكني إلى إبراز هاته الآراء التي

كنت أمليتها، ونشر الأوراق التي خشيت عليها عواصف الأهواء؛ فطويتها.
ص ٥

٣- وهأنذا متقدم إلى خوض بحر أرى هول أمواجه قد حاد بعقول كثير من ذوي الألباب، فولوا عنه مدبرين، وتكلموا في إصلاحات نافعة من مصالح المسلمين، لكنها كلها كانت متوقفة على هذا المقصد الجليل المغفول عنه «مبدأ إصلاح التعليم».

ولطالما كنت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى، وأعلم أن نور عقلي هو دون إضاءة هاته المجاهل التي صفت عليها منافذ الأنوار والأهوية الخالصة، فامتألت بالحوامض الرديئة منذ أزمان.

وإذ قد كان من المعلومات المسلمة أن الله - تعالى - استخلفنا في الأرض ومنّ علينا بنور العقول ونبهنا باختلاف النظام في الدنيا إلى أحوال الرقي والانحطاط، وقال: ﴿انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فما طَمَعَيْنَا من هذا السكوت الطويل، وما إغراقنا في هذا السبات العميق؟ ص ٦

٤- إذاً قد كان واجباً علينا؛ خدمةً للملة، وتهيئةً للنشأة العلمية التي تزيّن مستقبلنا وتمجّد ماضينا أن ندخل تلك المجاهل نرفع بإحدى يدينا مشاعل النور، ونقطع بالأخرى ما يمانع من حجرات العثر، فإن لم نصل بعدُ إلى غاياتها فعسى أن لا نبعد، وإن سلمنا من أن نشقى باللئام فما ضرنا أن لا نسعد، ولنا في ذلك كله معذرة العارفين، وشهادة أو تزكية المنصفين.

ص ٦

٥- نحن نشغل في هذا العالم؛ لنحصل السعادة حيثما توجهنا وذلك بجلب المنافع وابتقاء المضار.

فنحن - إذا - في أشد الاحتياج إلى العلم بوجوه استقامة الأشغال وهي المراد من التعليم؛ ليكون المتعلم بذلك راضياً عن نفسه، واثقاً بمحصول مبتغاه من عمله، ترى ذلك في كل العلوم؛ فكما ترى الرضا عن نفسك في معاشرتك بما اكتسبته من علم تهذيب الأخلاق ترى الرضا عنها في صنائعك إن كنت تصنع وفي سائر أكوانك التي تدخل تحت سلطان إرادتك؛ فلا يسوء ظنك بشيء ما، ولا تكون مكدوداً من القصور عندما ترى نفوساً يسمو بها الارتقاء في أوج المعالي، بل إما أن تسابق معها بجناح، أو تَعْلَمَ - بالأقل - أن للطيران فرصاً استكمال قوة أو مساعدة رياح، كما قال الزمخشري:

يا من يحاول بالأمني رتبتي كم بين منخفضٍ وآخر راقِي
أبَيْتُ ليلي ساهراً وتضييعه نوماً وتأملاً بعد ذاك لحاقي
ناهيك بما يجده المتعلم إن بلغ حدّاً أن يكون معلماً من الابتهاج بما يبيّن
للمتعلمين من الحقائق، وما يعالجه من إنشاء أمة مستقلة.

هاته منافع العلوم الحاجية التي تدعو إلى معرفتها حاجة الحياة الاجتماعية، وهي تختلف أعدادها باختلاف الحاجات الداعية ولا يُقدَّر أن يحدد عددها أحد، لكن لا شك أن تقدم الحضارة يوفر كثرتها.

لأجل هذا كان من واجب كل داعٍ إلى التعليم أن يوضح لطالبه الغايات التي يحصلونها من مزاوله ذلك التعليم سواء كانت غاية دنيوية أو أخروية؛ لأن لكلتا

الغاييتين طُلاباً، فتلك الغاية هي التي يجتني منها المحصل على نهاية ذلك التعليم نفعاً لنفسه دنيوياً وأخروياً، ووراء هاتين غاية هي أسمى وأعظم مما يبدو منها وهي إنتاج قادة للأمم في دينها ودنياها، وهداية هم مصابيح إرشادها، ومحاصد قتادها، ومهدئون نفوسها إذا أقلقها اضطراب مهأها. ص ٧ - ٨

٦- فالتعليم الصحيح - إذا - يرمي إلى إنشاء أرقى أصناف الناس من كل من تدرس بالأشغال والأعمال، أو رُزق المواهب الحسنة، ورغب في سلوك خير السبل، وشغف بالمعرفة، وامتاز بحب الواجب والتعقل. ص ٩

٧- إني على يقين أنني لو أتيحت لي في فجر الشباب التشبع من قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدت كثيراً من مواهبي ولاكتسبت جمماً، من المعرفة ولسلمت من التَّطَوُّح في طرائق تبين لي بعد حين الارتداد عنها، مع أنني أشكر ما منحت به من إرشاد قيم من الوالد والجد ومن نصحاء الأساتذة، ولا غنى عن الاستزادة من الخير. ص ٩

٨- نبحت عن تعليم يفيد ترقية المدارك البشرية، وصقل الفطر الطيبة؛ لإضاءة الإنسانية، وإظهارها في أجمل مظاهرها فيخرج صاحبها عن وصف الحيوانية البسيط وهو الشعور بحاجة نفسه خاصة، إلى ما يفكر به في جلب مصلحته ومصلحة غيره بالتحرز من الخلل والخطأ بقدر الطاقة، وبحسب منتهى المدنية في وقته. ص ١٢

٩- كان العرب في الجاهلية يلقنون أبناءهم وبناتهم ما هم في احتياج إليه من المعارف يُعدُّونهم بها إلى الكمال المعروف عندهم. ص ١٧

١٠- وسبب اشتهار الشعراء هو أن الشعر ضرب مستحدث من الكلام وأسلوب من المعنى غريب، وهو بجودة وزنه، والتزام قوافيه يتنزل منزلة التوقيعات الموسيقية، فكان يستفز الحليم، ويجري الجبان. ص ٢١

١١- حفظ العرب لغتهم من التغيير؛ فعدّوا الخطأ فيها عيباً يُتَعَيَّرُ به، وشهروا بأصحاب الفهاهة واللثغة، وأعلنوا بدائع شعرهم وخطبهم في أسواقهم المشهورة أيام مواسم الحج، فكان عِلْمُهُمُ الحقُّ هو أدبُ لُغَتِهِم، وهو علمهم العقلي الوحيد.

ولهم معارف وتقاليد حافظوا عليها كانوا يعدون العلم بها من صفات الكمال، أهمها معرفة أنسابهم واتصال قبائلهم بعضها ببعض. ص ٢١

١٢- وكان لنسائهم عناية بتعليم البنات تدير البيت، وحسن التبعل للأزواج، والشفقة في تربية صغار إخوتهن. ص ٢١

١٣- وأما علم البلاغة، فلم يدوّن ويُفرد بالتسمية والتأليف إلا في القرن الخامس؛ لأنه كان مندرجاً في جملة علم الأدب.

ويقول بعض الناس إن الجاحظَ أولُ من ألف فيه، لكنني أرى ما ألفه الجاحظ كان غير مصنف وإنما كانت مسائل البلاغة شعبةً من شعب النحو والأدب. ص ٣٢

١٤- ولكن الذي خص علم البلاغة بالتدوين هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت سنة ٤٧١هـ) في كتابيه: كتاب دلائل الإعجاز، وكتاب أسرار البلاغة؛ فهو أعطى ألقاباً للمسائل، وأخرج الكلام في الإعجاز عن الصفة

الجزئية إلى قواعد كلية مسهبة مبرهنة.

على أن علم البلاغة لم يصِرَ فَنًّا مهذباً إلا منذ صنف فيه الإمام يوسف السَّكَّاكي (ت سنة ٦٢٦هـ) القسم الثالث من كتابه مفتاح علوم العربية. ص ٣٣

١٥- وكان معاذ هذا - يعني الهراء - يدَّعي أنه يرى الجن، وَوَضَعَ في أخبارهم كتباً أدبية أثبت فيها شعرهم ومُلَحَّهم يريد بذلك الطريقة الروائية والمقامات غير أنه يظهره في صورة جد، فقال له الرشيد: «إن كنت رأيت ما ذكرت لقد رأيت عجباً، وإن كنت ما رأيت لقد وضعت أدباً». ص ٣٣

١٦- ومما تقدم إلى هنا: تعلم أن العلوم التي كانت تدرس، وتدون يومئذ تنتهي إلى اثنين وثلاثين علماً هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع عن بعضها مثل مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر. ص ٣٩

١٧- تثبت أهلية القارئ لأن يؤخذ عنه القرآن، والعالم لبث العلوم الإسلامية - بالاشتهار بين أهل ذلك العلم بأن فلاناً عالم ضابط حافظ. ص ٥٢

١٨- وكان من الآداب أن تكون بين الحلقة القريبة من الأستاذ وبين أستاذهم مسافة قوس، ويعدون القرب من الأستاذ أكثر من ذلك من سوء التربية. ص ٥٤

١٩- كان العلم الإسلامي في مصر قد استقر منذ الفتح الإسلامي سنة ١٦ إذ سكن في مصر كثير من الصحابة مثل عمرو بن العاص ، وابنه عبد الله بن عمرو ، وقيس بن عباد ، وعبيد الله بن محمد المعافري - وهو أول من قرأ القرآن بمصر - ص ٦٢

٢٠- السبب الرابع من أسباب تأخر التعليم : عُرُوّ التعليم عن مادة الآداب وتهذيب الأخلاق ، وشرح العوائد النافعة ، وغيرها .
وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد .
وقد اعتنى المسلمون في صدر الإسلام بذلك فتلقوا آداب القرآن ، وهدى الرسول ، ثم عززوه في عصور نهضتهم بعلوم آداب الشريعة والمواعظ .
أما إهماله بعد ذلك فسيبه تأخر المسلمين وقصور أنظارهم واعتقادهم أن العلم منحصر فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو ، والفقه وبعبارة أخرى ميل طائفة العلماء إلى الحفظ والاستكثار من فروع المسائل ومن عدد العلوم .
ومن العار الكبير أن ترى كثيراً ممن ينتصب لتعليم النشأة تعجبك أجسامهم ، وتبهجك بزئهم ، وتعظم صورهم .

ولكن ما بينك وبين أن ترمقهم بضد ذلك إلا أن تُحَاكَّهُمْ وتعاشرهم أو تجادلهم ؛ فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة من الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة ، وبذلك رزئت الأمة أنفع عنصر في حياة الأمم وكمالها وهو الأخلاق .
وإذا كانت تلك حالة خاصة الناس فما ظنك بعامتهم ؟ وإذا ذهب وقت التعليم عن الطلبة ولم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمن العسير أو المتعذر تلقينها

لهم من بعد؛ لأن فيما يدخل فيه المحصل على الشهادة أو نحوه من معترك الحياة شغلاً شاغلاً عن ذلك. ص ١٢٤

٢١- والواجب من حيث خطتنا التي نريد أن تسير فيها أبنائنا وتلامذتنا هو التدريب على ضروب الحكمة، ونقد مقتضيات الزمان، وعلو الهمة، والغيرة للحق، والترفع عن سخائف المطامع، وعن ضيق الصدر الذي ينشأ عنه الحسد، والظلم، والخصام، والتلطي من كل ما يخالف المقصد، والإقدام، والحزم وأصالة الرأي، وحب النظام في جميع أحوال الحياة، والعمل، وحب التناسب في المظاهر كلها، وإدراك الأشياء على ما هي عليه، والتباعد عن الخفة والطيش، وعن الجمود والكسل، وسوء الاعتقاد، والأمور الوهمية بحيث يكون العدل في جميع الأشياء صفة ذاتية لهم. ص ١٢٥

٢٢- نعم نحن نرى أن لا يقع النقد إلا في الدروس العالية، أما التلامذة المبتدئون والمتوسطون في أول الرتبة فإننا نلقي إليهم القواعد، وما كان من رأي فيه نظر ننقحه ونلقيه لهم من غير إشعار بما كان فيه من الخلل وكيف وقع تنقيحه، حتى إني كنت أصرفهم عن سرد الشرح مثلاً متى علمت أن في ذلك الموضوع ما لا يصلح تلقّيه. ص ١٢٧

٢٣- **والمشاخ** المدرسون - وإن بلغوا ما بلغوا من الاجتهاد في التعليم - فإن

ثمة اجتهادهم لا تظهر إلا بمقدار نجابة تلامذتهم. ص ١٤١

٢٤- ونسبة النباهة والتحصيل في التلامذة قليل؛ بسبب إهمال التمرين وترك مراجعة ما يقرؤونه قبل الدرس وبعده، وترك مطالبتهم باستذكار ما تعلموه،

وترك تكليفهم بحفظ المتون حفظاً جيداً، وترك تعويدهم على فهم معنى المتن الذي يحفظونه؛ فإنك لتسأل التلميذ عن المسألة فيعجز عن الجواب، ويتذكر عبارة المتن، ولكنه يبقى يلوكها ولا يكاد يبين عن المراد منها. ص ١٥٨

٢٥- يؤلف في علم مَنْ كان قويَّ الساعد فيه؛ ليتمكنه أن يأتي في تأليفه بغرض من أغراض التأليف السبعة التي جمعت في أبيات:

ألا فاعلمن أن التأليف سبعة لكل لبيب في النصيحة خالص
فشرح لإغلاق وتصحيح مخطئ وإبداع حبرٍ مقدّم غير ناكص
وترتيبٌ منشورٌ وجمعٌ مفرقٌ وتقصيرٌ تطويلٌ وتتميمٌ ناقصٌ
ص ١٧٠

٢٦- التفسير شرح مراد الله - تعالى - من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية، وليعتاد بممارسة ذلك فهم كلام العرب، وأساليهم من تلقاء نفسه. ص ١٨٤

٢٧- يُقصد من علم الأصول ضبط القواعد التي يستطيع العالم بها فهم أدلة الشريعة؛ ليأخذ منها الأحكام التفريعية.

أرادوا أن يجمعوا فيه ما تتفق فيه الآراء؛ ليرتفع الخلاف في الفقه بعد أن كانت هاته القواعد متفرقة وموكولة لنباهة المجتهدين. ص ٢٠٣

٢٨- في طبع الإنسان كراهية الرجوع إلى من يجترئ عليه، والخلاف بين العقلاء نادر لورامو التقارب. ص ٢١٠

٢٩- وللغة المضرية شبه بالعبرائية والبابلية وسائر اللغات السامية. ص ٢١٢

٣٠- هل نرجو من تلامذتنا اليوم أن يكونوا فصحاء بلغاء وهم لا يقرعون

سمعهم إلا سقط الكلام، ورعونة التعبير، ولا يعرفون معنى الإنشاء والفصاحة؟
ص ٢١٥

٣١- لا عدة لنا اليوم في الفصاحة إلا القرآن، وناهيك به عدة، ولكن قراءة الناس إياه في الصغر، وإهمال التذكير بمعانيه في المكاتب، والشغل عن درسه في الكبر- أرزا الناس فائدة عظيمة يبلغون بها رتبة مكيئة من علم اللسان. ص ٢١٥

٣٢- فإن كتاب سيبويه اشتمل على مسائل من التقديم، والتأخير، ومعاني الحروف، ومحاسن العطف، ونحوها؛ فكان عمدة علماء البلاغة من بعده وقد قال فيه الزمخشري:

ألا صَلَّى الإله صلاة صدق على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يُغن عنه بنو قلم ولا أعواد منبر

٣٣- علم البلاغة المعاني والبيان والبديع: تكاثرت الأسماء له؛ فمن الناس من سماه علم البديع لأنه مبدع، ومنهم من سماه البيان لأنه يبين عن المراد، والمتأخرون هم الذين قسموه إلى ثلاثة أقسام:

المعاني: وهو ما يبحث فيه عن مطابقة الكلام لمقتضى حال التعبير.

والبيان: وهو كاسمه يعرف به إيراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة من حقيقة أو مجاز.

والبديع: وهو تحسين المعاني أو الألفاظ بما يجعلها مستظرفة للسامع.

ص ٢٢٢- ٢٣٢

٣٤- يريدون من المنطق علماً يعصم الأفكار عن الخطأ في المطلوب التصوري الذي تتعرف منه حقيقة شيء، وفي المطلوب التصديقي الذي يُتَعرف منه العلم

مع دليل ما، وهو من جملة العلوم التي نقلها العرب من اليونانية في عصر النهضة العلمية، وختمه بالصناعات الخمس: «البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والسفسطة». ص ٢٢٥

٣٥- من أخص واجبات الأساتذة أن يكونوا قدوة لتلاميذهم؛ فمن الواجب أن يعرفوهم حب العمل، والسعي لإصلاح أنفسهم وأمتهم، وأن ينشئوهم على خلال المصابرة والشجاعة، والحرية والمروءة، واحترام الحق والعدالة، والعفاف وكرم الأخلاق؛ حتى يكونوا كلهم أعضاء نافعة عاملة سواء منهم من بقي في صناعة العلم، أو من انصرف إلى الأشغال الأخرى وعساهم أن لا يكونوا بعداء عن هذا في مقبل الزمان؛ فإن علماء الأمة زينتها في كل أوان. ص ٢٣٥

٣٦- ليس العلم رموزاً تُحل، ولا كلمات تُحفظ، ولا انقباضاً وتكلفاً، ولكنه نور العقل، واعتداله، وصلاحيته لاستعمال الأشياء فيما يحتاج إليه منها؛ فهو استكمال النفس، والتطهر من الغفلة، والتأهل للاستفادة والإفادة.

وما كانت العلوم المتداولة بين الناس إلا خادمة لهذين الغرضين وهما ارتقاء العقل لإدراك الحقائق، واقتدار صاحبه على إفادة غيره بما أدركه هو. ص ٢٣٩

٣٧- هذا ما عن إثباته من أحوال العلوم الإسلامية، وطرائق تعليمها، وأسباب النهوض والانحطاط العارضين لها في عديد الأعصر، وقد مضى بعد تقييده زمنٌ غير قصير تطورت فيه الأحوال إلى أحسن تارة وإلى أسوأ أخرى، وفي العيان غنية عن الإبانة لمن كانت له زكاة.

وقد تحقق العمل بكثير من الملاحظات والمقترحات التي اشتمل عليها هذا

الكتاب ، فأسفر بها وجه الصبح الذي رجوت له قرباً ، ولم أفتىء كلما وجدت فجوة أن أرتقي بالتعليم مرتقى وإن كان صعباً ، حتى قلتُ إن الصبح أعقب بضحا ، ورأيت كثيراً من الناصحين توخى سبيلنا وانتحاه ، واللبيب لا يعوزه تنظير الأحوال ، وفي الخبر أن ابن آدم لا ينتهي ما له من آمال ، ونسأل الله عون المسلمين على إصلاح الأحوال. ص ٢٦٠

الثالث عشر : نقولات مختارة من كتاب :

وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي ١٢٩٨-١٣٥٦

نبذة عن المؤلف :

وهو كتاب من ثلاثة أجزاء قال ﷺ :

النقول المنتقاة :

- ١- من سقوط النفس أن يغتر الشاب فتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها ، وتركها بعد أن يلبسها عارها الأبدى. ٢١٢ / ١
- ٢- الذي يجد طهارة قلبه يجد سرور قلبه ، وتكون نفسه دائماً جديدة على الدنيا. ٢٣٢ / ١
- ٣- الإيمان وحده هو أكبر علوم الحياة يبصرك إذا عميت في الحادثة ، ويهديك إذا ضللت عن السكينة ، ويجعلك صديق نفسك تكون وإياها على المصيبة ، لا عدوها تكون المصيبة وإياها عليك. ٢٣٣ / ١
- ٤- إن الشقاء في هذه الدنيا إنما يجره على الإنسان أن يعمل في دفع الأحزان عن نفسه بمقارفة الشهوات ، وبإحساسه غرور القلب؛ وبهذا يبعد الأحزان عن نفسه؛ ليجلبها على نفسه بصورة أخرى. ٢٣٩ / ١
- ٥- فكل ما تراه من أساليب التجميل والزينة على وجوه الفتيات وأجسامهن في الطرق - فلا تعدنه من فرط الجمال ، بل من قلة الحياء. ٣٠٢ / ١
- ٦- ويقول ﷺ متحدثاً عن اللقطاء: «ههنا باعث الشهوة قد عجز أن يسمو سموه - وما سموه إلا الزواج - فتسفل وانخط ، ورجع فسقاً ، وعاد أوله على

آخره، كان أوله جرماً، فلا يزال إلى آخره جرماً، ولا يزال أبداً يعود أوله على آخره؛ فلما حملت المرأة، وفاءت إلى أمرها، وذهب عنها جنون الرجل والرجل معاً - انطوت على الثأر، والحقد، والضغينة؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الشرور أيضاً.

والأمهات يعدون لأجنتهن الثياب والأكسية قبل أن يولدوا ويهيئن لهم بالفكر آمالاً وأحلاماً في الحياة؛ فيكسبهم في بطونهن شعور الفرح، والابتهاج، وارتقاب الحياة الهنيئة، والرغبة في السمو بها.

ولكن أمهات هؤلاء يعدون لهم الشوارع، والأزقة منذ البدء، ولا ترتقب إحداهن طول حملها أن يميئها الوليد، بل أن يتركها حياً، أو مقتولاً، فيورثهم بذلك - وهم أجنة - شعور اللهفة، والحسرة، والبغض، والمقت، ويطبّعهم على فكرة الخطيئة، والرغبة في القتل؛ فلا يكون ابن العار إلا ابن هذه الرذائل.

وتظل الفاسقة مدة حملها تسعة أشهر في إحساس خائف مترقب منفرد منعزل عن الإنسانية ناغم متبرم متستر منافق.

ومتى ألفت الفاسقة ذا بطنها قطعت له لتوه من روابط أهله وزمنه، وتاريخه، ورمته به؛ ليموت، فإن هلك فقد هلك، وإن عاش لمثل هذه الحياة فهو موت آخر شر من ذلك.

ومهما يتوله الناس، والمحسنون، فلا يزال أوله يعود على آخره؛ مما في دمه، وطباعه الموروثة، ولا يبرح جريمة ممتدة، متطاولة، ولا ينفك قصة فيها زان وزانية، وفيها خطيئة ولعنة.

فهؤلاء كما رأيت أولاد الجرأة على الله، والتعدي على الناس، والاستخفاف بالشرائع، والاستهزاء بالفضائل.

وهم البغض الخارج من الحب، والوقاحة الآتية من الخجل، والاستهتار المنبعث من الندامة.

وكل منهم مسألة شر تطلب حلها، وتعقيدها من الدنيا، وفيهم دماء فوارة تجمع سمومها شيئاً فشيئاً كلما كبروا سنةً فسنة. ٣٠٩/١ - ٣١٠

٧- ويا حسرتا على هؤلاء الصغار المساكين؛ إن حياة الأطفال فيما فوق مادة الحياة - أي في سرورهم وأفراحهم - وحياة هؤلاء البائسين فيما هو دون مادة الحياة، أي في وجودهم فقط.

وكبر الأطفال يكون منه إدخالهم في نظام الحياة، وكبر هؤلاء إخراجهم من الملجأ، وهو كل النظام في دنياهم ليس بعده إلا التشريد، والفقر، وابتداء القصة المحزنة. ٣١١/١

٨- وهؤلاء اللقطاء في حياة العامة قد نزعت منها الأم والأب؛ فليس لهم ماض كالأطفال، وكأنهم يبدؤون من أنفسهم لا من الأباء والأمهات. ٣١٢/١

٩- عجباً! إن سيئات اللصوص والقتلة كلها يُنسى، ويتلاشى، وسيئات العشاق والمحبين تكبر. ٣١٢/١

١٠- ولكن المرأة هي التي خلقت؛ لتكون للرجل مادة الفضيلة، والصبر، والإيمان، فتكون له وحيًا، وإلهامًا، وعزاءً، وقوة، أي زيادة في سروره، ونقصاً في آلامه.

ولن تكون المرأة في الحياة أعظم من الرجل إلا بشيء واحد، هو صفاتها التي تجعل رجلها أعظم منها. ١٥١ / ٢

١١ - فمهما تكن الزوجة شقية بزوجها فإن زوجها قد أولدها سعادتها، وهذه وحدها مزية ونعمة. ٢٩٢ / ١

١٢ - أما الفتاة فكانت في الأكثر للزواج، فعادت في الأقل للزواج، وفي الأكثر للهو والغزل.

وكان لها في النفوس وقار الأم، وحرمة الزوجة، فاجترأ عليها الشبان اجترأهم على الخليعة الساقطة.

وكانت مقصورة لا تنال بعب، ولا يتوجه عليها ذم، فمشت إلى عيوبها بقدميها، ومشت إليها العيوب بأقدام كثيرة.

وكانت بجملتها امرأة واحدة، فعادت مما ترى، وتعرف، وتكابد كأن جسمها امرأة، وقلبها امرأة أخرى، وأعصابها امرأة ثالثة. ١٦٣ - ١٦٢ / ١

١٣ - انظر ما فعلت كلمة الحرية بكلمة التقاليد، وكيف أصبحت هذه الكلمة السامية من مذوء الكلام، ومكروهه، حتى صارت غير طبيعية في هذه الحضارة، ثم كيف أحالتها، فجعلتها في هذا العصر أشهر كلمة يتهكم بها على الدين، والشرف، وقانون العرف الاجتماعي في خوف المعرة والدينية، والتصاوغ من الرذائل، والمبالاة بالفضائل؛ فكل ذلك «تقاليد».

وقد أخذت الفتيات المتعلمات هذه الكلمة بمعانيها تلك، وأجرينها في اعتبارهن مكروهة وحشية، وأضفن إليها من المعاني حواشي أخرى، حتى ليكاد الأب والأم يكونان عند أكثر المتعلمات من «التقاليد».

أهي كلمة أبدعتها الحرية؟ أم أبدعها جهل العصر وحماقته، وفجوره،
والحاده؟

أهي كلمة تعلقها الفتيات المتعلمات لأنها لغة من اللغة؟ أم لأنها لغة ما
يحبين؟

«تقاليد»؟ فما هي المرأة بدون هذه التقاليد؟ إنها البلاد الجميلة بغير جيش،
إنها الكنز المخبوء مُعَرَّضاً لأعين اللصوص تحوطه الغفلة لا المراقبة.

هب الناس كلهم شرفاء متعفين متصاونين _ فإن معنى كلمة «كنز» متى
تركت له الحرية، وأغفل من تقاليد الحراسة أوجدت حريته هذه بنفسها معنى
كلمة «لص». ١٠ / ١٦٣ - ١٦٤

١٤_ العلم للمرأة، لكن بشرط، أن يكون الأب وهية الأب أمراً مقررأ في
العلم، والأخ وطاعة الأخ من حقائق العلم، والزواج وسيادة الزوج شيئاً ثابتاً
في العلم، والاجتماع وزواجه الدينية والاجتماعية قضايا لا ينسخها العلم.
بهذا وحده يكون النساء في كل أمة مصانع عملية للفضيلة، والكمال،
والإنسانية، ويبدأ تاريخ الطفل بأسباب الرجولة التامة؛ لأنه يبدأ من المرأة التامة.
بغير هذا الشرط فالمرأة الفلاحة في حجرها طفل قدر هي خير للأمة من أكبر
أديبة تخرج ذرية من الكتب. ١ / ١٦٩

١٥_ شرف المرأة رأس مال للمرأة. ١ / ١٧١

١٦_ يجاهدن مجاهدة كل شريف عظيم النفس، همه أن يكون الشرف أو لا
يكون شيء، ويرى الغافل أن مثلهن هالكات في تعب الجهاد، ويعلمن من
أنفسهن غير ما يرى ذلك المسكين، يعلمن أن ذلك التعب هو لذة النصر بعينها.

كانت أنوثتهن أبداً صاعدة متسامية فوق موضعها بهذه القناعة، وبهذه التقوى، ولا تزال متسامية صاعدة على حين تنزل المطامع بأنوثة المرأة دون موضعها، ولا تزال أنوثتها تنحدر ما بقيت المرأة تطمع، ورب ملكة جعلتها مطامع الحياة في الدرك الأسفل، وهي باسمها في الوهم الأعلى. ١ / ١٣١

١٧- احذري تهوس الأوربية في طلب المساواة بالرجل، لقد ساوته في الذهاب إلى الحلاق، ولكن الحلاق لم يجد اللحية. ١ / ٢٦٤

١٨- احذري أن تخسري الطباع التي هي الأليق بأم أنجبت الأنبياء في الشرق، أمٌ عليها طابعُ النفس الجميلة، تنشر في كل موضع جوَّ نفسها العالية؛ فلو صارت الحياة غيماً، ورعداً، وبرقاً لكانت الشمس الطالعة.

ولو صارت قيظاً، وحروراً، واختناقاً - لكانت هي النسيم يتخطر.

أم لا تبالي إلا أخلاق البطولة، وعزائمها؛ لأن جداتها ولدن الأبطال. ١ /

٢٦٤ - ٢٦٥

١٩- يظنون أننا في زمن إزاحة العقبات النسائية واحدة واحدة من حرية المرأة وعلمها.

أما أنا فأرى حرية المرأة وعلمها لا يوجدان إلا في العقبات النسائية عقبة بعد

عقبة. ١ / ١٦٢

٢١- إن نفس الأنثى لرجل واحد؛ لزوجها وحده. ١ / ١٣١

٢٢- وما هو الحجاب إلا حفظ روحانية المرأة للمرأة، وإغلاء سعرها في

الاجتماع، وصونها من التبذل الممقوت؛ لضبطها في حدود كحدود الريح من

هذا القانون الصارم: قانون العرض والطلب، والارتفاع بها أن تكون سلعة بائرة ينادى عليها في مدرج الطرق والأسواق. ١ / ١٩٠

٢٣- ولقد جاءت إلى مصر كاتبة إنجليزية، وأقامت شهراً تخالط النساء المتحجبات، وتدرس معاني الحجاب، فلما رجعت إلى بلادها كتبت مقالاً عنوانه: «سؤال أحمله من الشرق إلى المرأة الغربية» قالت في آخره: إذا كانت هذه الحرية التي كسبناها أخيراً، وهذا التنافس الجنسي، وتجريد الجنسين من الحجب المشوقة الباعثة التي أقامت الطبيعة بينهما - إذا كان هذا سيصبح أثره أن يتولى الرجال عن النساء، وأن يزول من القلوب كل ما يحرك أوتار الحب الزوجي - فما الذي نكون قد ربخناه؟! لقد - والله - تضطرننا هذه الحال إلى تغيير خططنا، بل تستقر طوعاً وراء الحجاب الشرقي؛ لتعلم من جديد فن الحب الحقيقي. ١ / ٢٠٥

٢٤- ليس لامرأة فاضلة إلا رجلها الواحد؛ فالرجال جميعاً مصائبها إلا واحداً. ١ / ٢٦٥

٢٥- احذري أن تخدعي عن نفسك؛ إن المرأة أشد افتقاراً إلى الشرف منها إلى الحياة.

إن الكلمة الخادعة إذ تقال لك هي أخت الكلمة التي تقال ساعة إنفاذ الحكم للمحكوم عليه بالشنق؛ يغترونك بكلمات: الحب، والزواج، والمال كما يقال للصاعد إلى الشنقة ماذا تشتهي؟ ماذا تريد؟.

الحب؟ الزواج؟ المال؟ هذه صلاة الثعلب حين يتظاهر بالتقوى أمام الدجاجة.

الحب؟ الزواج؟ المال؟ يا لحم الدجاجة! بعض كلمات الثعلب هي أنياب الثعلب.

أيتها الشرقية! احذري ، احذري. ٢٦٦ / ١

٢٦_ لو كان العار في بئر عميقة لقلبها الشيطان مثذنة ووقف عليها يؤذن.

يفرح اللعين بفضيحة المرأة خاصة كما يفرح أب غني بمولود جديد في بيته.

واللص ، والقاتل ، والسكير ، والفاسق كل هؤلاء على ظهر الإنسانية كالحر

والبرد.

أما المرأة حين تسقط فهذه من تحت الإنسانية؛ هي الزلزلة ، ليس أفطع من الزلزلة المرتجة تشق الأرض إلا عار المرأة حين يشق الأسرة.

أيتها الشرقية! احذري ، احذري. ٢٦٧ / ١

٢٧_ إن الساقطة لا تنظر في المرأة أكثر ما تنظر إلا ابتغاء أن تتعهد من جمالها ،

وجسمها مواقع نظرات الفجور ، وأسباب الفتنة ، وما يستهوي الرجل ، وما

يفسد العفة عليه؛ فكأن الساقطة ، وخيالها في المرأة رجل فاسق ، ينظر إلى امرأة

فاسقة لا امرأة تنظر إلى نفسها. ٧٧ / ١

٢٨_ احذري السقوط؛ إن سقوط المرأة؛ لهوله ، شدته ثلاث مصائب في

مصيبة : سقوطها هي ، وسقوط من أوجدها ، وسقوط من توجدهم.

نوائب الأسرة قد يسترها البيت إلا عار المرأة. ٢٦٦ / ١ - ٢٦٧

٢٩_ والمرأة التي لا يحميها الشرف لا يحميها شيء ، وكل شريفة تعلم أن لها

حياتين : إحداهما العفة.

وكما تدافع عن حياتها الهلاك تدافع السقوط عن عفتها؛ إذ هو هلاك حقيقتها

الاجتماعية.

وكل عاقلة تعلم أن لها عقلين: تحتمي بأحدهما من نزوات الآخر، وما عقلها الثاني إلا شرف عرضها. ٩٣ / ١

٣٠- وأساس الفضيلة في الأنوثة الحياء؛ فيجب أن تعلم الفتاة أن الأنثى متى خرجت من حيائها، وتهجمت - أي توقحت أي تبذلت - استوى عندها أن تذهب يميناً أو شمالاً، وتهيات لكل منهما، ولأبي اتفق.

وصاحبات اليمين في كنف الزوج وظل الأسرة، وشرف الحياة...

وصاحبات الشمال ما صاحبات الشمال... ٣٠٢ / ١

٣١- إن السعادة الإنسانية الصحيحة هي العطاء دون الأخذ، وإن الزائفة هي

الأخذ دون العطاء، وذلك آخر ما انتهت إليه فلسفة الأخلاق. ص ١٣ / ٣

٣٢- متى ما وقع الخلاف بين اثنين وكانت النية صادقة مخلصه - لم يكن اختلافهما إلا من تنوع الرأي، وانتهيا إلى الاتفاق بغلبة أقوى الرأيين، ما من ذلك من بد. ٣١٥ / ٢

٣٣- وأما ضعف الهمة، فمنزلة الحيوان الذي لا هم له إلا أن يوجد كيفما وجد، وحيثما جاء موضعه من الوجود؛ إذ هو يولد ويكده، ويكد؛ ليكون لحماً، وعظماً، وصوفاً، ووبراً، وشعراً أثاثاً، ومتاعاً، وكأنه ضرب من النبات إلا أنه نوع آخر من المنفعة. ٣٧٩ / ٣

٣٤- الأشياء الكثيرة لا تكثر في النفس مطمئنة، وبذلك تعيش النفس هادئة مستريحة، كأن ليس في الدنيا إلا أشتاؤها الميسرة.

أما النفوس المضطربة بأطماعها، وشهواتها فهي التي تبتلى بكثرة الهموم
الخيالية. ٣١ / ١

٣٥- في جمال النفس ترى الجمال ضرورة من ضرورات الحياة؛ وي كأن الله
أمر العالم ألا يعبس للقلب المبتسم. ٤٨ / ١

٣٦- ليس اللذة في الراحة، ولا الفراغ، ولكنها في التعب، والكدح، والمشقة؛
حين تتحول أياماً إلى راحة وفراغ. ٤٨ / ١

٣٧- إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع،
وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إذا ضاقت فأنت الضيق لا
هي. ٥٠ / ١

٣٨- من مصائبنا - نحن الشرقيين - أننا لا نأخذ الرذائل كما هي، بل نزيد
عليها ضعفنا فإذا هي رذائل مضاعفة. ٢٠٤ / ١

٣٩- إن سمو الرجل بنفسه عن الزوجة والولد طيران إلى الأعلى، ولكنه
طيران على أجنحة الشياطين، طيران بالرجل إلى فوهة البركان الذي في الأعلى.
٢٨٨ / ١

٤٠- إن الذي تكتنفه رحمة الله يملك بها دنيا نفسه؛ فما عليه بعد ذلك أن
تفوته دنيا غيره، وإن الذي يجد طهارة قلبه يجد سرور قلبه، وتكون نفسه دائماً
جديدة على الدنيا، وإن الذي يحيا بالثقة تحييه الثقة، وإن الذي لا يبالي بالهم لا
يبالي الهم به، وأن زينة الدنيا ومتاعها وغرورها، وما تجلب من الهم - كل
ذلك من صغر العقل في الإيمان حين يكبر العقل في العلم. ٢٣٢ / ١

٤١- بعض الشياطين يخدع الناس عن جهنم بتبريد معانيها. ٢٥٦ / ١

٤٢- القلب المسالم يخلع الدنيا ، ويسمو بكل مضمون فيها ، فيعف عن كثير ، ويعرف الإنسانية ، ويطمع في غاياتها العليا فيعفو عن كثير ، ويدرك أن الحلال - وإن حل - فوراءه حسابه ، وإن الحرام - وإن غرَّ - ليس إلا تَعَلُّلُ ساعةٍ ذاهبة ، ثم وراءه عقاب الأبد. ٧ / ٢

٤٣- ولا يضطرب من شيء ؛ وكيف يضطرب ومعه الاستقرار؟ لا يخاف من شيء ؛ وكيف يخاف ومعه الطمأنينة؟ لا يخشى مخلوقاً ؛ وكيف يخشى ومعه الله؟. ١٧١ / ٢

٤٤- فمن ألزم نفسه الجود ، والإنفاق راضها رياضة عملية رياضة العضل بأثقال الحديد ، ومعاناة القوة في الصراع ونحوه. أما الشح فلا يناقض تلك الطبيعة ، ولكنها يدعها جامدة مستعصية ، لا تلين ، ولا تستجيب ، ولا تتيسر. ١٤٥ / ٣

٤٥- إن يوماً باقياً من العمر هو للمؤمن عُمرٌ ما ينبغي أن يستهان به. ٢٣٥ / ١

٤٦- بكلمة يكون الإحساس فاسداً ، وبكلمة يكون شريفاً. ٢٦٦ / ١

٤٧- وما هو الحجاب الشرعي إلا أن يكون تربية عملية على طريقة استحكام العادة لأسمى طباع المرأة وأخصها الرحمة ، هذه الصفة النادرة التي يقوم الاجتماع الإنساني على نزعها ، والمنازعة فيها ما دامت سنة الحياة نزاع البقاء ، فيكون البيت اجتماعاً خاصاً مسالماً للفرد ، تحفظ المرأة به منزلتها ، وتؤدي فيه عملها ، وتكون مغرساً للإنسانية ، وغارسة لصفاتها معاً. ١٩٦ / ١

٤٨- وما كان الحجاب مضروباً على المرأة نفسها، بل على حدود الأخلاق أن تجاوزَ مقدارها، أو يخالطها السوء، أو يتدسس إليها؛ فكل ما أدى إلى هذه الغاية فهو حجاب، وليس يؤدي إليها شيء إلا أن تكون المرأة في دائرة بيتها، ثم إنساناً فقط فيما وراء هذه الدائرة إلى آخر حدود المعاني. ١ / ١٩٧

٤٩- فوراء الحجاب الشرعي الصحيح معاني التوازن، والاستقرار، والهدوء، والاطراد، وأخلاق هذه المعاني وروحها الديني القوي الذي ينشئ عجيبة الأخلاق الإنسانية كلها، أي صبر المرأة وإيثارها.

وعلى هذين تقوم قوة المدافعة، وهذه القوة هي تمام الأخلاق الأدبية كلها، وهي سر المرأة الكاملة؛ فلن تجد الأخلاق على أتمها، وأحسنها، وأقواها إلا في المرأة ذات الدين، والصبر، والمدافعة. ١ / ١٩٧

٥٠- يا ويل المرأة حين تنفجر أنوثتها بالمبالغة؛ فتنفجر بالدواهي على الفضيلة.

١ / ٢٦٤

٥١- وحقيقة الحجاب أنه الفصل بين الشرف فيه الميل إلى النزول، وبين الخسة فيها الميل إلى الصعود.

فيك طبائع الحب، والحنان، والإيثار، والإخلاص، كلما كبرت كبرت. طبائع خطرة إن عملت في غير موضعها جاء بعكس ما تعمله في موضعها. فيها كل الشرف ما لم تنخدع، فإذا انخدعت فليس إلا كل العار. ١ / ٢٦٥-٢٦٦

٥٢- احذري كلمة شيطانية تسمعيها: هي فنية الجمال، أو فنية الأنوثة،

وافهميها أنت هكذا: واجبات الأنوثة، وواجبات الجمال. ١ / ٢٦٦

٥٣_ على أن هذا الذي يسميه القوم حرية ليس حرية إلا في التسمية، أما في المعنى فهو كما ترى: **إما شرود المرأة في التماس الرزق**، حين لم تجد الزوج الذي يعولها، أو يكفيها، ويقيم لها ما تحتاج إليه؛ فمثل هذه حرية النكد في عيشها، وليس بها حرية، بل هي مستعبدة للعمل شر ما تستعبد امرأة.

وإما انطلاق المرأة في عبثاتها، وشهواتها مستجيبة لشهواتها بذلك إلى انطلاق حرية الاستمتاع بالرجال بمقدار ما يشتره المال، أو تعين عليه القوة، أو يسوِّغه الطيش، أو يجلبه التهتك، أو تدعو إليه الفنون؛ فمثل هذه هي حرية حرية سقوطها، وما بها الحرية، بل يستعبدتها التمتع.

والثالثة: حرية المرأة في انسلاخها من الدين وفضائله؛ فإن هذه المدنية قد نسخت حرام الأديان وحلالها بحرام وحلال قانوني؛ فلا مَسْقَطة للمرأة، ولا غضاضة عليها قانوناً فيما كان يعد من قبل خزيّاً أقبح الخزي، وعاراً أشد العار؛ فمثل هذه هي حرية حرية فسادها، وليس بها الحرية، ولكن تستعبدتها الفوضى.

والرابعة: غطرسة المرأة المتعلمة، وكبرياؤها على الأنوثة والذكورة معاً، فترى أن الرجل لم يبلغ بعد أن يكون الزوج الناعم كقفاز الحرير في يدها، ولا الزوج المؤنث الذي يقول لها: نحن امرأتان؛ فهي من أجل ذلك مطلقة مُخَلّاة؛ كيلا يكون عليها سلطان، ولا إمرة؛ فمثل هذه حرية بانقلاب طبيعتها وزيفها، وهي مستعبدة لهوسها، وشدوذها، وضلالها.

حرية المرأة في هذه المدنية أولها ما شئت من أوصاف وأسماء، ولكن آخرها دائماً: **إما ضياع المرأة، وإما فساد المرأة.** ١ / ٢٩٤ - ٢٩٥

- ٥٤_ وما أول الدعارة إلا أن تمد المرأة طَرْفَها من غير حياء كما يمد اللص يده من غير أمانة. ١ / ٢٩٧
- ٥٥_ وهذه الزينة تتصنع بها المرأة تكاد تكون صورة المكر و الخداع ، والتعقد وكلما أسرفت في هذه أسرفت في تلك.
- بل الزينة لوجه المرأة وجسمها سلاح من أسلحة المعاني كالأظافر، والمخالب، والأنياب ، غير أن هذه لوحشية الطبيعة الحية المفترسة ، وتلك لوحشية الغريزة الحية التي تريد أن تفترس. ٢ / ٦٣

الرابع عشر : نقولات مختارة من كتاب :

آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وعيون البصائر

وقد طبعت مؤخراً طبعة جديدة بعنوان : «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» في ٥ مجلدات ، والنقول الآتية من الطبعة الأولى وعيون البصائر.

«نبذة عن المؤلف» :

هو الشيخ العلامة محمد البشير الإبراهيمي ولد عند طلوع الشمس من يوم الخميس الثالث عشر من شهر شوال عام ١٣٠٦ هـ، وتوفي عام ١٣٨٥ هـ. وهبه الله حافظه خارقة ، وذاكرة عجيبة تشهدان بصدق ما يحكى عنه السلف. وكانتا معيتين له في العلم في سن مبكرة.

تلقى التعليم في بيت أسرته ، وقام على تربيته وتعليمه عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي الذي كان علامة زمان في العربية.

بدأ في حفظ القرآن والتعليم في الثالثة من عمره ، وأتقن القرآن حفظاً في السابعة من عمره ، وحفظ كثيراً من المتون في مختلف الفنون ، وحفظ العديد من الدواوين الشعرية ، وكان يحفظ من سماع واحد.

كان من أبرز علماء الجزائر ، ومن طليعة المجاهدين للاستعمار ، والدجل ، والبدع ، والخرافات.

وكان من الشجعان المغاوير ، وكان في طليعة العاملين على إحياء العلوم الدينية والعربية في الجزائر.

ويرجع الفضل - بعد الله - إليه وإلى الشيخ عبد الحميد بن باديس في تكوين

جمعية العلماء في الجزائر.

وكان شديد العناية بأمور المسلمين وقضاياهم.

كان خطيباً مصقّعاً، وشاعراً مقلّعاً، وكاتباً بارعاً.

وقد خلف آثاراً جمعت في خمس مجلدات، اسمها «آثار الإمام محمد

البشير الإبراهيمي».

وإذا أردت مزيداً من ترجمته فارجع إلى تلك الآثار، وارجع إلى:

«الصدّاقة بين العلماء» لكاتب هذه الصفحات.

«نماذج لما جاء في كتب الشيخ محمد البشير»

١- العاقل من جرى العقلاء في أعمالهم في دائرة دينه، ووجدانه. ١٤/١

٢- والحازم من لم يرض لنفسه أخسّ المنازل، وأخسّ المنازل للرجل منزل القول بلا عمل، وأخسّ منها أن يكون الرجل كالدفتر يحكي ما قال الرجال، وما فعل الرجال دون أن يضرب معهم في الأعمال الصالحة بنصيب، أو يرمي في معترك الآراء بالسهم المصيب. ١٤/١

٣- إنّ تغافل الإنسان عن عييه لمن دواعي الغرور، والغرور من دواعي التماذي في الغي، والتماذي في الغي من موجبات الهلاك، وهل نقيصة أعظم من فقد الإحساس؟ ١٥/١

٤- إنّ الكمال، والنقص وصّفان يتعاقبان على الفرد كما يتعاقبان على

المجموع. ١٣٩/١

٥- فحرر القرآن أرواحها من العبودية للأوثان الحجرية والبشرية، وحرر

أبدانها من الطاعة والخضوع لجبروت الكسروية القيصرية، وجلا عقولها على النور الإلهي؛ فأصبحت تلك العقول كشافة عن الحقائق العليا، وطهر نفوسها من أدران السقوط والإسفاف إلى الدنيا؛ فأصبحت تلك النفوس نزاعة إلى المعالي، مقدمة على العظائم. ٨٨/١

٦- وعلمها لأول مرة في التاريخ كيف يستغل الإنسان استعداداته، وفكره، ففتح أمامه ميادين التفكير والاعتبار، وأمره أن يسير في الأرض، ويمشي في جوانبها، ويتفكر في ملكوت السماوات والأرض. ٨٩/١

٧- وبهذه الروح القرآنية اندفعت تلك النفوس بأصحابها تفتح الآذان قبل البلدان، وتمتلك بالعدل والإحسان الأرواح قبل الأشباح. ٨٩/١

٨- فلم يزل بها هذا القران، حتى أخرج من رعاة النعم رعاة الأمم، ومن خمول الجهل والأمية أعلام العلم والحكمة. ٩٣/١

٩- فالقرآن هو الذي ربها، وأدبها، وزكى منها النفوس، وصفى القرائح، وأذكى الفطن، وجلا المواهب، وأرهف العزائم، وهذب الأفكار، وأعلى الهمم، واستفز الشواعر، واستثار القوى، وصقل الملكات، وقوى الإرادات، ومكن للخير في النفوس، وغرس الإيمان في الأفئدة، وملأ القلوب بالرحمة، وحفز الأيدي للعمل النافع، والأرجل للسعي المثمر، ثم ساق هذه القوى على ما في الأرض من شر، وباطل، وفساد فطهرها منه تطهيراً، وعمرها بالخير والحق تعميراً. ٢٥٢/١ - ٢٥٣

١٠- إنا مرضى، ومن بلاء المريض رفق الطبيب به؛ إن رفق الطبيب بخيانة

لفنّه ، وقدح في أمانته ، وزيادة في البلاء على مريضه؛ وما خير رفق ساعة يتجرع المريض بسببه آلام السنين؟ ٣٥١/١

١١- إن القيم المعنوية في الرجال من زكاء النفس ، وعلو الهمة ، وإطاعة أوامر الله - هو الجانب المعتبر في حياة الرجال. ١٨٨/٣

١٢- وشتان بين من يسترخص الموت من أجل الحياة ، وبين من يحاولها لإرضاء الشهوات : شهوات القلب ، ومحبة السمعة الزائفة. ١٨٨/٣

١٣- إن الحياة بلا سعادة قدر مشترك بيننا وبين النمل على ضعفه ، والحمار على ذله وخسفه ، والجمل على إذلاله وتسخيره؛ فإذا كنتم اليوم تُسمّون أحياءاً فمن هذا النوع. ٢٣٩/٣

١٤- الأعمال الكبيرة إذا توازعتها الأيدي ، وتقاسمتها الهمم - هان حملها ، وخف ثقلها ، وإن بلغت من العظم ما بلغت. ٢٤٥/٣

١٥- سيقول القانعون باليسير من جناء العزائم ، وقصار النظر ، المكتفون بالمخايل وهي سراب عن المعصرات وهي شراب إن هذا هول هائل ، وقول لا تسعه إلا لهة القائل ، ومرام صعب تضيق به قدرة الشعب. ٢٤٨/٣

١٦- الإسلام روح تجري ، ونفحة تسري ، وحقيقة ليس بينها وبين قبولها إلا مواجهتها لها ، وليس بين النفوس وبين الإذعان لها إلا إشرافها عليها من مجالها الأولى. ٢٧/٣

١٧- وإنما مكنت للإسلام طبيعته ، ويسره ، ولطف مدخله على النفوس ، وملاءمته للفطر ، والأذواق ، والعقول.

ولو بقي الإسلام على روحانيته القوية، ونورانيته المشرقة، ولو لم يفسده أهله بما أدخلوه عليه من بدع، وشأنوه به من ضلال - لطبق الخافقين، وجمع أبناء على القوة، والعزة، والسيادة، حتى يتملكوا به الكون كله.

ولكنهم أفسدوه، واختلفوا فيه، وفرقوه شيعاً، ومذاهب؛ فضعف تأثيرهم به؛ فضعف تأثيره فيهم؛ فصاروا إلى ما نرى، ونسمع. ٢٧٣/٣

١٨- إن أمة تنفق مئآت الملايين في الشهر على القهوة والدخان، وتنفق مثلها على المحرمات، وتنفق مثلها على البدع الضارة، وتنفق أمثال ذلك كله على الكماليات التي تنقص الحياة، ولا تزيد فيها، ثم تدعي الفقر إذا دعاها داعي العلم لما يحياها - لأمة كاذبة على الله، سفيهة في تصرفاتها. ٣٤٥/٣

١٩- وأوصيه بالروية في الرأي، والأناة في الحكم على الأشياء؛ فإن الارتجال مجلبة ندم. ٣٥٥/٣

٢٠- المال الذي تنفقه في المحرمات يسوقك إلى النار، والمال الذي تبده في الشهوات يجلب لك العار، والمال الذي تدخره للورثة الجاهلين تهديه إلى الأشرار، وتبوء أنت بالتبار والخسار.

أما المال الذي تحيي به العلم، وتميت به الجهل - فهو الذي يتوجك في الدنيا بتاج الفخار، وينزلك عند الله منزلة الأبرار. ٣٦٥/٣ - ٣٦٦

٢١- ليس من سداد الرأي أن يضيع الضعيف وقته في لوم الأقوياء، وليس من المجدي أن يدخل معهم في جدل؛ إن من تمام معنى اللوم أن يتسبب في توبة، أو يجبر إلى إنابة. ٣٨٥/٣

٢٢- ولا نقول رجحنا أو خسرنّا؛ فالربح والخسارة من مفردات قاموس التجار.
أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور
الروحية في الوجود - فلغته سماوية لا تحمل معنى التراب، متسامية لا تسف إلى
ما تحت السحاب. ٢٧٦/٤

٢٣- خدرنا الغرب بالوطنيات الضيقة؛ فأصبح كل فريق قانعاً بجحر الضب،
يناضل بمثل سلاح الضب، وهيئات إذا مزقت الأطراف أن يُحفظ القلب.
٢٨٧/٤

٢٤- ولأن يسكت العاقل مختاراً في وقت يحسن السكوت فيه خيرٌ من أن
ينطق مختاراً في وقت لا يحسن الكلام فيه. عيون البصائر ص ١٧
٢٥- وكلُّ نَظْقَةٍ تملّوها الظروف لا الضمائر تثمر سكتة عن الحق، ما من ذلك
من بد. عيون البصائر ١٧

٢٦- أما وظيفة السيف والرمح فهي الإنكاء في العدو، والإنكاء في العدو هو
الغاية التي تنتهي إليها شجاعة الشجاع.

كذلك حملة الألسنة والأقلام يجب أن يكونوا؛ ليحققوا التشبيه الذي
تواطأت عليه الأمم؛ فلتأتهم المصائب من كل صوب، ولتنزل عليهم الضرورات
من كل سماء، وليخرجوا من كل شيء إلا شيئين: القلم، واللسان؛ إن بيع
القلم، واللسان أقبح من بيع الجندي لسلاحه. عيون ١٨

٢٧- ولكن الخذلان الذي لا غاية وراءه أن غَنِينَا ينفق مئات الألوف على
لذاته وشياطينه؛ فإذا سئل بذل القليل في مشروع جليل أعرض ونأى بجانبه.
عيون ٢٧٨

٢٨- أوصيكم بتقوى الله؛ فهي العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي مهبط الروح، والطمأنينة، وهي منزل السكينة، وهي مبعث القوة واليقين، وهي معراج السمو إلى السماء، وهي التي تثبت الأقدام في المزالق، وتربط على القلوب في الفتن. عيون ٢٩١

٢٩- أي أبنائي^(١) إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم ما تنبت به الحبال، وتنوء بحمله الجبال، وهو يرثي لحالككم في الغربة، وإلحاح الأزمات، ويود - بقطع وتينه - لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهية العيش؟ وأسود، ومتى عاش الأسد على التذليل، وهو يشعر أن التذليل تذليل؟ عيون ٢٩٢

٣٠- ثم احرصوا على أن يكون ما تلقونه لتلامذتكم من الأقوال منطبقاً على ما يرونه، ويشهدونه منكم من الأعمال؛ فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طُلعةٌ إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم. وإنه قوي الإدراك للمعائب والكمالات؛ فإذا زينت له الصدق فكونوا صادقين، وإذا حسنتم له الصبر فكونوا من الصابرين.

واعلموا أن كل نقشٍ تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل، وأن كل صبغ تنفضونه على أرواحهم من قبل أن يكون متغلغلاً في أرواحكم فهو - لا محالة - ناصل حائل، وأن كل سحر تنفضونه؛ لاستنزالهم غير الصدق فهو باطل.

١- يعني المعلمين التابعين لجمعية العلماء.

ألا إن رأس مال التلميذ هو ما يأخذه عنكم من الأخلاق الصالحة بالقدوة.
 وأما ما يأخذ عنكم بالتلقين من العلم والمعرفة فهو ربح وفائدة. عيون ٢٩١
 ٣١- أما إن السياسة تكون خيراً لأقوام، وشرّاً لآخرين، وتكون عقود حلية
 كما تكون عقود خنقٍ- فهذا ما قرأناه في قاموس الاستعمار، وعلمناه من مذهبهم.
 عيون ٣٩

٣٢- إن الطليق الذي لا يمد يده لإنقاذ الأسير- وهو قادر على إنقاذه- يوسم
 بواحدة من اثنتين: إما أنه راضٍ مغتبطٌ، وإما أنه شامتٌ متشفٍ. عيون ١٢٣
 ٣٣- إن ضعف الضعيف لا يكون في سنة الله إلا زيادة في قوة القوي، وإن
 اختلافكم لا يكون إلا زيادة في قوة خصومكم، وخصوم قضيتكم. عيون ٣٣٢

الخامس عشر : نقولات مختارة من كتاب :

مواعظ الإمام عمر بن عبدالعزيز ٦١ - ١٠١ هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن عمر بن عبدالعزيز» :

هو أمير المؤمنين الإمام، العادل، العالم، الفقيه، الخائف، الخاشع عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي.

قال عبيد الله بن عبد الله: كانت العلماء عند عمر بن عبد العزيز تلامذة.

وقال مجاهد: أتينا عمر نعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه.

وقال ميمون بن مهران: كان عمر يعلم العلماء.

وقال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يحب عمر بن عبد العزيز فاعلم أن وراء ذلك خيراً.

والحديث عن عمر بن عبد العزيز يطول، وهناك كتب كثيرة في سيرته.

«من مواعظ الإمام عمر بن عبد العزيز» :

١- لا تصحب من الأصحاب من خطر كُ عنده على قدر قضاء حاجته، فإذا انقضت حاجته انقطعت أسباب مودته، واصحب من الأصحاب ذا العلا في الخير، والإفادة في الحق.

٢- صلى عمر الجمعة، وعليه قميص مرقوع الجيب، فلما انتهى من الصلاة قال له رجل: يا أمير المؤمنين: إن الله أعطاك، فلو لبست؛ فنكس عمر رأسه ملياً، ثم رفع رأسه، وقال: أفضل القصد عند الجدة، وأفضل العفو عند المقدرة.

٣- كتب إلى بعض أهله: أما بعد فإنك إذا استشعرت ذكر الموت ليلك أو

نهارك بغض إليك كل فان ، وحبب إليك كل باقى .

٤- وقال لعنيسة بن سعيد بن العاص : أبا خالد! أكثر من ذكر الموت؛ فإن كنت في ضيق من العيش وسَّعه عليك ، وإن في كنت في سعة من العيش ضيقه عليك.

٥- أصلحوا آخرتكم تصلح لكم دنياكم ، وأصلحوا سرائركم تصلح لكم علانيتكم ، والله إن عبداً ليس بينه وبين آدم أبٌ حيٌّ لمغرقٌ في الموت.

٦- قال مسلمة : دخلت على عمر بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر؛ فلا يدخل عليه أحد ، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني ، وكان يعجبه التمر ، فرفع بكفه منه ، فقال : يا مسلمة! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عليه الماء فإن الماء على التمر طيب - أكان يجزيه إلى الليل؟

قلت : لا أدري ، فرفع أكثر منه ، قال : فهذا؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره.

قال : فعلام ندخل النار؟

قال مسلمة : فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه.

٧- أوصى عمر رجلاً فقال : أوصيك بتقوى الله الذي لا يقبل غيرها ، ولا يرحم إلا أهلها ، ولا يثيب إلا عليها؛ فإن الواعظين بها كثير ، والعاملين بها قليل.

٨- وقال لرجل : أوصيك بتقوى الله تخف عليك المؤونة ، وتحسن لك من الله المعونة.

٩- عليك بالذي يبقى لك عند الله؛ فإن ما بقي عند الله بقي عند الناس ، وما

لم يبق عند الله لم يبق عند الناس.

١٠- قال ميمون بن مهران: ولاني عمر بن عبد العزيز عمالة، ثم قال لي: إذا جاء الكتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض.

١١- قال عمر بن مهاجر: قال لي عمر: إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبيبي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر! ما تصنع؟.

١٢- أيها الناس! إنما يراد الطبيب للوجع الشديد، ألا فلا وجع أشد من الجهل، ولا داء أخبث من الذنوب، ولا خوف أخوف من الموت.

١٣- قال رباح بن عبيدة: كنت قاعداً عند عمر، فذكر الحجاج، فشتمته، ووقعت فيه، فقال عمر: مهلاً يا رباح؛ إنه بلغني أن الرجل ليُظلمَ بالمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم، وينتقصه، حتى يستوفي حقه، فيكون للظالم الفضل.

١٤- لا ينفع القلب إلا ما خرج من القلب.

١٥- قد أفلح من عصم من المراء، والغضب، والطمع.

١٦- لقد بورك لعبد في حاجة أكثر فيها سؤال ربه، أُعطي، أو منع.

١٧- ما حسدت الحجاج على شيء حسدي إياه على حبه القرآن، وإعطائه أهله، وقوله حين حضرته الوفاة: اللهم اغفر لي؛ فإن الناس يزعمون أنك لا تفعل.

١٨- قيل لعمر: ما بدءُ إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي، فقال: يا عمر! اذكر ليلةً صبيحتها يومُ القيامة.

١٩- من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل.

٢٠- دخل رجل على عمر يعوده في مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال

الرجل : من هذه العلة مات فلان ، ومات فلان ، فقال عمر : إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى ، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا.

٢١- ما أنعم الله على عبد نعمة ، فانتزعها منه ، فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ما عاضه الله أفضل مما انتزع منه ، ثم قرأ ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

٢٢- كتب إلى بعض عماله : اجتنبوا الأشغال عند حضرة الصلاة؛ فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً.

٢٣- إن ابتلاك الله - عز وجل - بفقر فتعفف في فقرك ، وأخبت لقضاء ربك ، واغتر بما قسم لك من الإسلام ما زوى عنك من نعمة دنيا؛ فإن في الإسلام خلفاً من الذهب ، والفضة ، والدنيا الفانية.

السادس عشر : نقولات مختارة من كتاب :

مواظع الإمام مالك بن دينار ت : ١٣٠هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن مالك بن دينار» :

ولد مالك بن دينار أيام ابن عباس ، وأُسند عن أنس بن مالك عدة أحاديث وروى عن جلة من الصحابة ، وكان من أعيان كتبة المصاحف ، ومن تلامذة الحسن البصري ، وكان له قدرة صبر على الثقل ، وكان مسكنه خالياً ليس فيه متاع ، ولهذا فهو لا يحتاج إلى قفل ولا مفتاح .
قال الذهبي : مالك بن دينار ، علم من العلماء الأبرار ، معدود من ثقات التابعين .

« من مواظع مالك بن دينار رحمته الله » :

- ١- خرج أهل الدنيا ولم يذوقوا أطيّب ما فيها ، قالوا : وما هو يا أبا يحيى ؟
قال : معرفة الله .
 - ٢- ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله - عز وجل - .
 - ٣- إن الصديقين إذا قرىء عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة .
 - ٤- ما من أعمال البر شيء إلا دونه عقبه ؛ فإن صبر صاحبها أفضت به إلى رَوْح ، وإن جزع رجع .
 - ٥- كم من رجل يحب أن يلقي أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل ، والأمر يعرض له ، عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها .
- ثم قال : وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين .

- ٦- قيل له : ادع لنا ربك ، قال : إنكم تستبطنون المطر ، وأنا أستبطن الحجارة .
- ٧- إن الله - تعالى - عقوبات في القلب ، والأبدان : ضنكاً في المعيشة ، ووهناً في العبادة ، ومسخطة في الرزق .
- ٨- سمع مالك رجلاً يقول : لو أعطاني الله - تعالى - بيتاً صغيراً لرضيت به . فقال له مالك : ليتك يا ابن أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة .
- ٩- الخوف من العمل ألا يتقبل أشد من العمل .
- ١٠- كفى بالمرء شراً ألا يكون صالحاً ، ويقع في الصالحين .
- ١١- وجد في بعض الكتب : سبحوا الله - أيها الصديقون - بأصوات حزينة .
- ١٢- قال لقمان لابنه : يا بني اتخذ طاعة الله تجارة تأتلك الأرباح من غير بضاعة .
- ١٣- ليس بحليم من نفذ غضبه في حمار ، أو هرة .
- ١٤- أشد ما على السفیه الإعراض عن جوابه ، وإظهار عدم التأثير له .
- ١٥- مثل الدنيا مثل الحية ، مسُّها لئِنْ ، وفي جوفها السم القاتل ، يحذرهما ذوو العقول ، ويهوي إليها الصبيان .
- ١٦- قال موسى - عليه السلام - : يا رب أين أبغيك ! قال : أبغني عند المنكسرة قلوبهم .
- ١٧- ما أشد فطام الكبير .
- ١٨- لو استطعت أن لا أنام لم أنم ؛ مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم في سائر الدنيا كلها : يا أيها الناس ! النار النار .
- ١٩- ما عاقب الله - تعالى - قلباً بأشد من أن يسلب منه الحياة .
- ٢٠- لم يبق لي من رَوْح الدنيا إلا ثلاثة : لقاء الإخوان ، وتهجد بالقرآن ، وبيتٌ خالٍ يُذكر الله فيه .

السابع عشر : نقولات مختارة من كتاب :

مواظ الإمام سلمة بن دينار أبو حازم ت : ١٤٠هـ

«نبذة عن أبي حازم رحمه الله» :

أبو حازم هو سلمة بن دينار، الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، ولد أيام ابن الزبير وابن عمر، وسمع من الصحابي سهل بن سعد، وروى عنه، وروى عن كثير من التابعين، وثقه أحمد، وابن معين، وأبو حاتم، وقال ابن خزيمة : ثقة لم يكن في زمانه مثله.

مات في خلافة أبي جعفر سنة ١٤٠، وقيل ١٣٥.

قال الذهبي : «وأحاديثه في الكتب الستة» .

وكانت مواظمه مؤثرة تأخذ طريقها إلى القلوب، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ما رأيت أحد يفرفر^(١) الدنيا ففرقة هذا الأعرج، يعني أبا حازم. وكان على درجة كبيرة من الفطنة، والذكاء، وله أقوال مأثورة تنطق بالحكمة، ومن ذلك ما يلي :

١- أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم.

٢- يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة؛ فإنك تجد الرجل يشغل نفسه بهم غيره، حتى لهو أشد اهتماماً من صاحب الهم بهم نفسه.

٣- عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمّه الفتوح.

١- أي ينال منها، ويبين حقارتها وخطورها.

- ٤- ينبغي للمؤمن أن يكون أشد حفظاً للسان منه لموضع قدميه.
- ٥- وقال مخاطباً نفسه: يا أعرج! ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا، فتقوم معهم، ثم ينادى:
- يا أهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم؛ فأراك يا أعرج تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة؟!
- ٦- كل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية.
- ٧- ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأمانى.
- ٨- من عرف الدنيا لم يفرح فيها برحاء، ولم يحزن على بلوى.
- ٩- انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثم فتركه اليوم.
- ١٠- انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فتركه، ثم لا يضرك متى مت.
- ١١- لا يُحَسِّنُ عَبْدٌ فيما بينه وبين الله - تعالى - إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد ولا يُعَوِّرُ^(١) فيما بينه وبين الله - تعالى - إلا عَوَّرَ الله فيما بينه وبين العباد. وَلَمْصَانَعَةُ وَجْهِ وَاحِدٍ أَيْسَرُ مِنْ مَصَانَعَةِ الْوُجُوهِ كُلِّهَا؛ إِنَّكَ إِذَا صَانَعْتَ اللَّهَ مَالَتِ الْوُجُوهُ كُلُّهَا إِلَيْكَ، وَإِذَا أَفْسَدْتَ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ شَنَأَتْكَ^(٢) الْوُجُوهُ كُلُّهَا.
- ١٢- قال عبد الرحمن بن أسلم: قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني، قال: وما هو يا بني؟ قلت: حُبِّي الدنيا، فقال لي: اعلم يا ابن أخي أنني

١- يعور: يفسد.

٢- شَنَأَتْكَ: أبغضتك.

ما أعاتب نفسي على حب شيء حَبَّه الله لي؛ لأن الله - عز وجل - حبب هذه الدنيا إلينا، ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا، ألا يدعونا حبها إلى أن نأخذ من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً أحبه الله؛ فإذا نحن فعلنا ذلك لا يضرنا حبنا إياها.

١٣- وقيل لأبي حازم: ما مالك؟ قال: ثقّتي بالله - تعالى - وإياسي مما في أيدي الناس.

١٤- ليس للملول صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح العقول.

١٥- السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه؛ فرقاً منه، حتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزوي على الجدار، حتى إن قطه ليفر منه.

١٦- ابن آدم: بعد الموت يأتيك الخبر.

١٧- اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك.

١٨- وقال جلسائه: لقد رضيت منكم أن يبقى أحدكم على دينه كما يبقى على نعليه.

١٩- يا بني لا تقتد بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفُ عن العيب، ولا يصلح عند الشيب.

٢٠- قاتل هواءك أشد مما تقاتل عدوك.

٢١- وكتب أمير المؤمنين إلى أبي حازم: ارفع إلي حاجتك، قال: هيهات، رفعت حاجتي إلى من لا يختزن الحوائج؛ فما عطاني منها قنعت، وما أمسك عني منها رضيت.

٢٢- إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يغنيك.

٢٣- لَمَّا يَلْقَى الَّذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ مِنْ تَقِيَّةِ النَّاسِ أَشَدَّ مَا يَلْقَى الَّذِي يَتَّقِي اللَّهَ - عز وجل - من تقاته.

٢٤- قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظمي يا أبا حازم، قال: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن تكون فيه تلك الساعة، فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون تلك الساعة، فدعه الآن.

٢٥- وقال: أوحى الله - عز وجل - إلى الدنيا: من خدمك فأتعبيه، ومن خدمني فاخدميه.

٢٦- مر أبو حازم بسوق الفاكهة فقال: موعذك سوق الجنة.

٢٧- قال أبو معشر: رأيت أبا حازم يقص في المسجد، ويبيكي، ويمسح بدموعه وجهه، فقلت: يا أبا حازم: لِمَ تفعل هذا؟

قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله.

٢٨- وقال: إبليس، وما إبليس؟ لقد عصي فما ضر، ولقد أطيع فما نفع.

٢٩- مر أبو حازم بأبي جعفر المدني وهو مكتئب حزين، فقال: مالي أراك مكتئباً حزيناً؟ قال: ذكرت ولدي من بعدي، قال: فلا تفعل؛ فإن كانوا أولياء الله فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا الله أعداءً فلا تبال ما لقوا بعدك.

الثامن عشر : نقولات مختارة من كتاب :

مواعظ الإمام سفيان الثوري ت : ١٦١هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن سفيان الثوري» :

سفيان الثوري هو الإمام ، الثقة ، الحافظ .

قال عنه شعبة ، وابن عيينة ، وأبو عاصم ، ويحيى بن معين ، وغيرهم :
سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث .

والأقوال في الثناء عليه يصعب حصرها ، قال الإمام أحمد : أتدري من
الإمام ؛ الإمام سفيان الثوري ، لا يتقدمه أحد في قلبي .

وقال : قال لي ابن عيينة : لن ترى عينك مثل سفيان الثوري حتى تموت .
وقال الذهبي : قد كان سفيان رأساً في الزهد ، والتأله ، والخوف ، رأساً في
الحفظ ، رأساً في معرفة الآثار ، رأساً في الفقه في الدين ، لا يخاف في الله لومة لائم ،
من أئمة الدين .

«من مواعظ سفيان الثوري» :

١- أصلح سريرتك يصلح الله علانيتك ، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح
الله فيما بينك وبين الناس ، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك ، وبع دنياك
بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً .

٢- اعمل للعالم بقدر بقائك فيها ، وللآخرة بقدر بقائك فيها .

٣- يأتي على الناس زمان تموت القلوب ، وتحبى الأبدان .

٤- ما أحسن تذلل الأغنياء عند الفقراء ، وما أقبح تذلل الفقراء عند الأغنياء .

- ٥- ما عاجلت شيئاً أشد علي من نفسي؛ مرة عليّ، ومرة لي.
- ٦- قال بشر بن الحارث: قيل لسفيان: أيكون الرجل زاهداً، ويكون له مال؟ قال: نعم؛ إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر.
- ٧- احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، احذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربك.
- ٨- لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً، وحزناً، وشوقاً إلى الجنة، أو خوفاً من النار.
- ٩- ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تُزكّ نفسك.
- ١٠- إذا زارك أخوك فلا تقل له: أأأكل؟ أو أقدم إليك؟ ولكن قدّم، فإن أكل وإلا فارفع.
- ١١- إذا عرفت نفسك فلا يضرك ما قيل فيك.
- ١٢- لا تتكلم بلسانك، ما تكسر به أسنانك.
- ١٣- إني لأريد شرب الماء، فيسبقني الرجل إلى الشربة، فيسقينها، فكأنما دق ضلعاً من أضلاعي، لا أقدر على مكافئته.
- ١٤- عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء، وعليك بالحدّز ممن يملك العقوبة.
- ١٥- إلهي؛ البهائم يزجرها الراعي فتزجر عن هواها، وأراني لا يزجرني كتابك عما أهواه؛ فيا سوأته.
- ١٦- ما أعطي رجل من الدنيا شيئاً إلا قيل له: خذه، ومثله حزناً.

- ١٧- لو أن البهائم تعقل ما تعقلون من الموت - ما أكلتم منها سمياً.
- ١٨- إنما مثل الدنيا مثل رغيغٍ عليه غسلٌ مرَّ به ذبابٌ، فقطع جناحيه، وإذا مر برغيغٍ يابس مرَّ به سليماً.
- ١٩- لم أنهككم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل؛ كيف أنهاكم عن الأكل، والله - تعالى - يقول: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.
- ٢٠- لأن تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.
- ٢١- إذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمِّر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان.
- ٢٢- لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، وكن رحيماً للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء.
- ٢٣- عليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم؛ فإنه يسد عليك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يلين قلبك، وعليك بالصمت تملك الورع.
- ٢٤- لا تكن طعناً تنج من ألسنة الناس، وكن رحيماً محبباً إلى الناس.
- ٢٥- عليك بالسخاء تستر العورات، ويخفف الله عليك الحساب والأهوال.
- ٢٦- عليك بكثرة المعروف يؤنسك الله بقبرك، واجتنب المحارم تجد حلاوة الإيمان.
- ٢٧- ارض بما قسم الله تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً.

التاسع عشر : نقولات مختارة من كتاب :

مواعظ الإمام إبراهيم بن أدهم ت: ١٦٢هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن إبراهيم بن أدهم رحمته الله» :

هو إبراهيم بن أدهم بن يزيد التميمي ، ويقال له العجلي ، أصله من بلخ ، ثم سكن الشام ، ودخل دمشق.

كان من الأشراف ، وكان أبوه كثير المال ، والخدم ، ومع ذلك أثر إبراهيم الآخرة ، وآثر العلم والزهد.

وقد روى الحديث عن الأعمش ، ومحمد بن زياد ، وأبي إسحاق السبيعي ، وحدث عنه خلق كثير منهم بقية ، والثوري.

وكان حريصاً على الكسب الحلال ؛ ليسلم بذلك من مذلة السؤال.

كان أميناً في عمله ، ومما يذكر عنه أنه قد عمل في بستان ، فطلب منه صاحبه أن يحضر له عنباً ، فأحضر له عنباً حامضاً ، فقال له : من هذا تأكل ، قال : ما أكل من هذا ولا من غيره ، قال : لم ؟ قال لأنك لم تأذن لي.

توفي سنة ١٦٢ هـ ، وقال عنه الثوري : كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل ، ولو كان في الصحابة لكان رجلاً فاضلاً.

وقال ابن كثير : إبراهيم أحد مشاهير العباد ، وأكابر الزهاد ، كانت له همّة عالية في ذلك.

وقال مضاء بن عيسى : ما فاق إبراهيم بن أدهم أصحابه بصوم ، ولا صلاة ، ولكن بالصدق والسخاء.

«من مواعظ إبراهيم بن أدهم وأقواله» :

١- قد رضينا من أعمالنا بالمعاني ، ومن التوبة بالتواني ، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني.

٢- ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه.

٣- من لم يواسِ الناس بماله وطعامه ، وشرابه - فليواسهم ببسط الوجه ، والخلق الحسن.

٤- لا تكونوا بكثرة أموالكم تتكبرون على فقرائكم ، ولا تميلون إلى ضعفائكم ، ولا تبسطون إلى مساكينكم.

٥- تريد تدعو؟ كل الحلال ، وادع بما شئت.

٦- قال أبو عبد الله الملطي : كان عامة دعاء إبراهيم : اللهم انقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك.

٧- الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة؛ لأنك تبذلها في تحصيلها.

٨- وما هي إلا جوعَةٌ قد سددها وكل طعام بين جنبي واحد

٩- عجباً للرجل اللئيم!؛ ييخل بالدنيا على أصدقائه ، ويسخو بالجنة لأعدائه.

١٠- شكى رجل إلى إبراهيم كثرة عياله ، قال إبراهيم : ابعث إلي منهم من لا رزقه على الله؛ فسكت الرجل.

١١- من علامة صدق المتحابين في الله - عز وجل - أن يبادر كل منهم إلى مصالحة صاحبه إذا أغضبه؛ فإننا لم نجد قط محبوباً إلى إخوانه وهو لا يواصلهم ،

كما أنا لم نجد قط غضوباً مسروراً.

١٢- الهوى يردي ، وخوف الله يشفي.

١٣- اعلم أن ما يزيل عن قلبك هواءك إذا خفت من أن تعلم أنه يراك.

١٤- إذا كنت بالليل نائماً ، وبالنهار سائماً ، وفي المعاصي دائماً؛ فكيف ترضي من هو بأمرك قائماً.

١٥- مالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ، ولا نسأل كشفه من ربنا.

١٦- نحن والله الملوك الأغنياء ، نحن الذين قد تعجلنا الراحة ، لا نبالي على أي حال أصبحنا ، وأمسينا إذا أطعنا الله - عز وجل -.

١٧- لا يقل مع الحق فريد ، ولا يقوى مع الباطل عديد.

١٨- الكلام يظهر حمق الأحمق ، وعقل العاقل.

١٩- من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ، ومن أطلق بصره طال أسفه ،

ومن أطلق أمله ساء عمله ، ومن أطلق لسانه قتل نفسه.

العشرون : نقولات مختارة من كتاب :

مواعظ الإمام عبدالله بن المبارك ت : ١٨١هـ للشيخ صالح الشامي

«نبذة عن عبد الله بن المبارك رحمته الله» :

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم ، وأمه خوارزمية ، ولد سنة ١١٨ هـ في مدينة مرو - أشهر مدن خراسان - كان أبوه رجلاً صالحاً يعمل في بستان مولاة ، وجاءه مولاة يوماً ، وطلب منه رماناً حلواً ، فأحضر له رماناً ، فوجده حامضاً ، فقال له : أطلب الحلو فتحضر الحامض ؛ هات حلواً .

فذهب مبارك إلى شجرة أخرى ، فلما كسره وجده حامضاً ، فقال له بعد ذلك : أنت ما تعرف الحلو من الحامض ؟ فقال : لا قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه ، فقال : ولماذا ؟ قال : لأنك ما أذنت لي بالأكل منه ؛ فعجب من ذلك صاحب البستان ، وتأكد بعد ذلك من صدقه .

وكان لمولاة بنتٌ حُطِبَتْ كثيراً ، فقال له يا مبارك من ترى نزوج هذه البنت ؟ فقال : أهل الجاهلية يزوجون للحسب ، واليهود للمال ، والنصارى للجمال ، وهذه الأمة للدين .

فأعجبه عقله ، ثم زوجه ابنته .

وهكذا جاء ابن المبارك من هذه الأسرة التي قامت على الورع ، والتقوى .
نشأ ابن المبارك في مرو ، وكان شديد الذكاء ، قوي الحافظة ، خرج في طلب العلم سنة ١٤١ هـ ، وأكثر من الترحال ، والتطواف في طلب العلم ، وفي الغزو ، والتجارة ، فرحل إلى الحرمين ، والشام ، والعراق ، والجزيرة ، وخراسان ، وحدث

بأماكن ، وصنف التصانيف الكثيرة النافعة.

كان يعمل في التجارة ، وكان رأس ماله نحو أربعمئة ألف يدور يتجربه في البلدان ، فحيث اجتمع بعالم أحسن إليه ، وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العلم ، والعبادة ، والزهد ، وربما أنفق من رأس ماله . وكان الباعث له على العمل بالتجارة أمرين :

١- صيانة الوجه أن ينكسف بسواد المطالب ، وذلة السؤال .

قال له الفضيل بن عياض : أنت تأمرنا بالزهد ، والتقليل ، والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟

قال يا أبا علي ! إنما أفعل ذلك ؛ لأصون وجهي ، وأكرم عرضي ، وأستعين به على طاعة ربي .

٢- الإنفاق على العباد ، والزهاد ، وأهل العلم ؛ فقد قال للفضيل : لولاك وأصحابك ما اتجرت .

ولهذا كان كثير من العباد لا يقبلون إلا عطاياه .

كان ابن المبارك كريماً ، وأخباره أشهر من أن تذكر ، وكان شجاعاً ، مجاهداً ، حافظاً ، محدثاً ، شاعراً ، فقيهاً .

توفي سنة ١٨١ هـ وله ثلاث وستون سنة .

قال العباس بن مصعب : جمع ابن المبارك الحديث ، والفقه ، والعربية ، وأيام الناس ، والشجاعة ، والسخاء ، والتجارة ، والمحبة عند الفرق .

وقال يحيى بن آدم : كنت إذا طلبت دقيق المسائل ، فلم أجده في كتب ابن المبارك أيسر منه .

وقال سفيان الثوري: لو جهدت جهدي أن أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك - لم أقدر.

وقال ابن عينة: نظرت في أمر الصحابة، وأمر عبد الله فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا لصحبته النبي ﷺ وغزوهم معه.

وعن عبد الله بن سنان قال: قدم ابن المبارك مكة، وأنا فيها، فلما خرج شيعة سفيان بن عينة والفضيل، وودعاه، فقال أحدهما: هذا فقيه أهل المشرق، فقال الآخر: وفقيه أهل المغرب.

ملحوظة: هذه الشهادات لابن المبارك من أفاضل السلف وأكابرهم تدل على نفوس طاهرة زكية؛ إذ إن بعضهم يشهد لبعض دونهما تخرج أو حسد؛ فما النتيجة إذا؟

لقد رفعهم الله جميعاً، ونحن إذ نسمع مثل هذه الشهادات نهتز لها طرباً، وربما كان إعجابنا بالشاهد أعظم من إعجابنا من المشهود له.

من أخبار ابن المبارك: أنه خرج مرة إلى الحج، فمر ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمر بإلقائه على مزبلة هناك، وسار أصحابه، وتحلف وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لقيته، ثم أسرعته به إلى الدار، فجاء ابن المبارك، فسألها عن أمرها، وأخذها الميتة.

فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار وليس لنا قوت إلا ما يلقي على هذه المزبلة، وقد حلت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونا له مال، فظلم، وأخذ

ماله ، وقتل ، فأمر ابن المبارك برد الأحمال ، وقال لو كيّله : كم معك من النفقة ؟ قال : ألف دينار ، فقال : عد منها عشرين ديناراً تكفيني إلى مرو ، وأعطها الباقي ؛ فهذا أفضل من حجننا هذا العام ثم رجع .

« من مواعظ ابن المبارك » :

- ١- أكثركم علماً ينبغي أن يكون أشدكم خوفاً .
- ٢- كيف يدّعي رجل أنه أكثر علماً ، وهو أقل خوفاً ، وزهداً ؟ .
- ٣- ما أعياني شيء كما أعياني أنني لا أجد أخاً في الله - عز وجل - .
- ٤- لا يقع موقع الكسب على العيال شيء ، ولا الجهاد في سبيل الله .
- ٥- ما بقي في زماننا أحدٌ أعرف أنه أخذ النصيحة بانسراح قلب .
- ٦- قال رجل لعبد الله : أوصني ، قال : اترك فضول النظر توفق للخشوع ، و اترك فضول الكلام توفق للحكمة ، و اترك فضول الطعام توفق للعبادة ، و اترك النظر في عيوب الناس توفق للاطلاع على عيب نفسك .
- ٧- قال رجل لعبد الله : إني لأرى نفسي أحسن حالاً ممن قتل نفساً ظلماً . فقال له : إن أمتك على نفسك لشر ممن قتل نفساً ظلماً .
- ٨- رب عمل صغير تعظمه النية ، ورب عمل كبير تصغره النية .
- ٩- لو أن رجلين اصطحبا في الطريق ، فأراد أحدهما أن يصلي ركعتين ، فتركهما ؛ لأجل صاحبه - كان ذلك رياءاً ، وإن صلاهما لأجله فهو شرك .
- ١٠- سئل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه : إن كان الكلام من فضة فإن الصمت من ذهب فقال : معناه لو كان الكلام بطاعة الله من فضة فإن الصمت عن معصيته من ذهب .

- ١١- إن الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين.
- ١٢- قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ قال: فهل تعرف من يقبل؟
- ١٣- قال رجل لابن المبارك: أوصني، قال: اعرف قدرك.
- ١٤- كاد الأدب يكون ثلثي الدين.
- ١٥- قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل، قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب، قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخ شفيق يستشير، قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل، قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل.
- ١٦- إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع فيه الرب - عز وجل - وعمر قد بقي لا يدرى ما فيه من الهلكة، وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج، وضلالة يراها هدى، وزيف قلب ساعة؛ فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر.
- ١٧- رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا؛ حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا؛ حتى تعلمه أنه ليس له بدنيه فضل عليك.
- ١٩- اغتاب رجل في مجلس عبد الله شخصاً، فقال: إذا أردتم أن تغتابوا فاغتابوا أبويكم؛ لئلا يرد أجر عملكم على الأجنبي، بل إليهما.
- وقال: لو كنت مغتاباً لا غتبت والدي؛ لأنهما أحق بحسناتي.

الحادي والعشرون : نقولات مختارة من كتاب:

مواظع الإمام الفضيل بن عياض ت: ١٨٧ للشيخ صالح الشامي

«تعريف بالفضيل بن عياض رحمته الله» :

الفضيل بن عياض التميمي ولد بسمرقند، ونشأ بخراسان، وتذهب بعض الروايات أنه كان يقطع الطريق ثم هداه الله بسبب سماعه آية من كتاب الله.

جاء في سير أعلام النبلاء، عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل بن عياض شاطراً - يقطع الطريق - بين أبيورد، وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، وبينما هو يتسلق الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلما سمعها قال: بلى يا ربّي قد آن، فأواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سابلة - عابرُ طريق - فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح؛ إن فضيلاً يقطع الطريق علينا.

قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، أرى الله ساقني إليهم؛ لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

كان الفضيل إماماً في الزهد والورع، قال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله، أو ذكر عنده، أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمه من بحضرته. وقال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل في جنازة لا يزال يعظ، ويذكر، ويبكي، حتى وكأنه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة حتى يبلغ المقابر، فيجلس، فكأنه بين الموتى.

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحداً أخوف من الفضيل وابنه علي.
 وقال إسحاق بن إبراهيم: ما رأيت أحداً أخوف على نفسه، ولا أرجى
 للناس من الفضيل.

كان صحيح الحديث، صدوق اللسان، وقال ابن المبارك: ما بقي على ظهر
 الأرض عندي أفضل من الفضيل.

وقال الذهبي: الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الإسلام أبو علي.
 وعده ابن تيمية من أئمة السلف، ومن أكابر المشايخ.

ومن الأقوال العظيمة الماثورة عن الفضيل ما يلي:

١- قال في قوله - تعالى -: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

قال: أخلصه، وأصوبه، قيل: يا أبا علي! ما أخلصه، وأصوبه؟ فقال: إن
 العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً، ولم يكن
 خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب
 أن يكون على السنة.

٢- إذا ظهرت الغيبة ارتفعت الأخوة في الله.

٣- حيث ما كنت فكن ذنباً، ولا تكن رأساً؛ فإن الرأس تهلك، والذنب ينجو.

٤- كامل المروءة من بر والديه، وأصلح ماله، وأنفق من ماله، وحسن

خلقه، وأكرم إخوانه، ولزم بيته.

٥- ما أجد لذة، ولا راحة، ولا قرّة عين إلا حين أخلو في بيتي.

٦- صبر قليل، ونعيم طويل، وعجلة قليلة، وندامة طويلة.

٧- كفى بالله محباً، وبالقرآن مؤنساً، وبالموت واعظاً، وكفى بخشية الله علماً، وبالاغترار به جهلاً.

٨- لا تستوحش طريق الهدى؛ لقلّة أهله، ولا تغتر بكثرة الناس.

٩- إذا أتاك رجلاً يشكو رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه؛ إن العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله - عز وجل - فقل: فإن كنت تحسن تنتصر بمثل، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع؛ فإنه من عفى وأصلح فأجره على الله؛ فصاحب العفو ينام الليل على فراشه، وصاحب الانتصار يقلب الأمور.

١٠- خصلتان تقسيان القلب: كثرة النوم، وكثرة الأكل.

١١- المؤمن يزرع نخلاً، ويخاف أن يثمر شوكاً، والمنافق يزرع شوكاً، ويطلب أن يثمر رطباً.

١٢- نعمت الهدية الكلمة الطيبة من الحكمة يحفظها الرجل حتى يلقيها إلى أخيه.

١٣- إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهم أخاه، فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه.

١٤- خوف العبد من الله على قدر معرفته به.

١٥- من وقى خمساً وقى شر الدنيا والآخرة: العجب، والرياء، والكبر، والإزراء، والشهوة.

١٦- لأعلمنك كلمة هي خير لك من الدنيا وما فيها: والله لئن علم الله منك

إخراج الآدميين من قلبك حتى لا يكون في قلبك مكان لغيره _ لم تسأله شيئاً إلا أعطاك.

١٧_ ما أحب عبدُ الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص ، والعيوب؛ ل يتميز هو بالكمال ، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير.

ومن عشق الرياسة فقد تُودّع من صلاحه.

١٨_ أهل الفضل هم أهل الفضل ما لم يروا فضلهم.

١٩_ لم يدرك عندنا من أدرك بكثرة صيام ، ولا صلاة ، وإنما أدرك بسخاء الأنفس ، وسلامة الصدور ، والنصح للأمة.

٢٠_ رب ضاحك ، وأكفانه قد خرجت من عند القصار^(١).

٢١_ من خاف الله لم يضره أحد ، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد.

٢٢_ لم يتزين الناس بشيء أفضل من الصدق ، وطلب الحلال.

٢٣_ بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله ، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله.

٢٤_ عاملوا الله _ عز وجل _ بالصدق في السر؛ فإن الرفيع من رفعه الله ، وإذا أحب الله عبداً أسكن محبته في قلوب العباد.

٢٥_ من المعروف أن ترى المنّة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئاً؛ لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضاً فإنه خصلك بالسؤال ، ورجا فيك الخير دون غيرك.

١_ القصار: المغسل.

٢٦- من علامة المنافق أن يحب المدح بما ليس فيه، ويكره الذم بما فيه،
ويبغض من يبصره بعيوبه، ويفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه.
٢٧- إن الله - عز وجل - ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الرجل أهله
بالخير.

٢٨- المؤمن يغبط، ولا يحسد، والمنافق يحسد، ولا يغبط.

الثاني والعشرون : نقولات مختارة من كتاب:

طاقتك الكامنة لسمير شيخاني

- ١- لا تهدم شيئاً ما لم تكن مستعداً لبناء شيء أفضل منه. ص ٢٦٢
- ٢- السبيل الوحيد لتجنب النقد هو ألا تفعل شيئاً ، وألا تكون أحداً ، عندها لا يفعل العالم شيئاً لإزعاجك. ص ٢٦٤
- ٣- إذا كنت لا تتحمل النقد فلا يحق لك أن تقدمه إلى سواك. ص ٢٦٥
- ٤- أخفق أديسون عشرة آلاف مرة قبل أن يصنع المصباح الكهربائي؛ لا تقلق إذا أنت أخفقت مرة. ص ٢٧٠
- ٥- لا يعد المرء محققاً حتى يتقبل الهزيمة كأنما هي دائمة ، ويتخلى عن المحاولة. ص ٢٧١
- ٦- أخطاء الآخرين هي عذر ضعيف لخطئك. ص ٢٧١
- ٧- الإخفاق ليس عاراً إذا كنت بذلت جهدك بإخلاص. ص ٢٧١
- ٨- الأشخاص ذوو النية الصادقة قلما يخافون شيئاً. ص ٢٧٢
- ٩- في كل مرة تؤثر على امرئ ما؛ لكي يقوم بعمل أفضل - فإنك تفيدته ، وتضاعف قيمتك الشخصية. ص ٢٨١
- ١٠- لا تكتفِ بأن تكون ممتازاً في عمل ، كن الأفضل ، وسرعان ما تصبح شخصاً لا يستغنى عنه. ص ٢٨١
- ١١- أنت دائماً على الرحب والسعة إذا ما حملت معك الابتسامة ، وتركت الهموم في البيت. ص ٢٩٢

- ١٢- تذكر جيداً أنه ليس من الضرورة أن يخفق الآخرون لكي تنجح. ص ٣٠٠
- ١٣- يستحسن التفوق على الشخص الآخر عوضاً عن إضاعة الوقت في حسده. ص ٣٠٠
- ١٤- سلم الشهرة ليس مزدحماً عند قمته. ص ٣٠٠
- ١٥- إذا كنت تتوقع شيئاً مقابل لا شيء فإنه محكوم عليك بخيبة الأمل. ص ٣٠٠
- ١٦- لا تجادل مطلقاً في تفاصيل غير مهمة؛ لأنك إذا كسبت فإنك لن تكون كسبت أي مصلحة. ص ٣٠٠
- ١٧- عندما تغضب غضباً شديداً، ولا تدري ما العمل - فالأفضل ألا تفعل شيئاً. ص ٣٠٣
- ١٨- لو أن الإنسان أفصح عن كل فكرة خطرت بباله - لما بقي له أصدقاء. ص ٣٠٣
- ١٩- الإنسان السليم الخلق لا يقلق عموماً على سمعته. ص ٣٠٧
- ٢٠- اهتم جيداً بخلقك؛ فتهتم سمعتك بنفسها. ص ٣٠٧
- ٢١- الأوهام تتجه عموماً حيث يُرحَّب بها. ص ٣٠٨

الثالث والعشرون : نقولات مختارة من كتاب:

قوة الاعتزاز بالنفس ضمن سلسلة العمل

المؤلف : سامويل أ. سيرت

«تعريف بالكتاب» :

هذا الكتاب من إصدار مكتبة جرير وترجمتها ويقع في ١١٣ صفحة ، ويدور حول تجارب إنسانية تقوي الثقة بالنفس ، وتبعث على مزيد من الجِد ، وتحارب القصور والإخفاق وتعظيم شأن الخوف.

كما أنه يعين على أن يتعرف الإنسان على اكتشاف مواطن الضعف والقوة في نفسه ، وعلى العناصر التي تؤثر فيه.

كما أنه يعرفه على كيفية تحديد الأهداف وطريقة الوصول إليها ، فإلى مقولات الكتاب المختارة.

١- يتسم البارزون في عملهم بالثقة الشديدة ، وربما يدعي بعضهم أنهم يقومون بهذه السلوكيات الناجحة بشكل طبيعي؛ وذلك لثقتهم بأنفسهم.

ولا شيء أبعد عن الحقيقة من هذا الافتراض؛ إننا جميعاً نتسم بالضعف ، وقد نتأثر تأثراً بالغاً من فعل أو قول غير واعي أو بسيط ، وإن لم يكن مقصوداً ،

كما أننا نكتسب الثقة بالنفس من أجل تحقيقه. ص ١

٢- عندما نتعرض للهزيمة أو عند ما يجرحنا الآخرون فإننا نعلم جيداً أن هذه المشاعر مؤقتة ، وسرعان ما تتماثل للشفاء.

كما أننا نتعلم من التجارب ، ونتحسن عادة كلما خضنا تجارب أكثر. ص ٢

٣- إذا انخفض تقديرنا لذاتنا إلى حد يجعلنا نشك في قدراتنا على النجاح فلن نقدم أبداً على المحاولة. ص٢

٤- إذا اعتقدنا أننا سنخفق فسوف نخفق في أغلب الأحيان. ص٢

٥- يمكننا أن نستريح عندما نعرف أن كل إنسان تقريباً يمر بلمحظات من الشك في النفس. ص٢

٦- يمكن أن نتعلم من حياة الآخرين الذين مروا بتجارب فاشلة كثيرة، ولكنهم تغلبوا عليها، ووصلوا إلى مناصب قيادية في التجارة والسياسة بل في كل المجالات الأخرى. ص٢

٧- لا يوجد اثنان متشابهان؛ لذلك يجب أن نتعلم من البداية أن نقيس أداءنا وفقاً لقدراتنا، لا وفقاً لقدرات زملائنا أو أقاربنا. ص٦

٨- يميل كل البشر إلى التأثر ذاتياً بتجارب الفشل، وغالباً ما يعطونها اهتماماً أكثر مما تستحقه؛ لأن أية تجربة فاشلة تترك في الذاكرة أثراً لا يمحي؛ فإننا نسمح لها بأن تؤثر على حاضرننا ومستقبلنا أكثر مما ينبغي، بغض النظر عن حجم هذا الفشل؛ فإن أية هزيمة تعد مؤقتة إذا لم نجعلها دائمة. ص٧

٩- إذا تعلمنا من التجربة فقد قمنا بخطوة صغيرة نحو النجاح في المستقبل؛ حيث لن نكرر هذا الخطأ ثانية. ص٧

١٠- إذا نظرت بعمق إلى حياة الناجحين فسوف تكتشف أنها تمتلئ بتجارب الفشل المثيرة؛ سنجد - مثلاً - أبراهام لينكولن قد فشل كأمين مستودع، وكجندي وكمحامٍ.

ومع ذلك ساعدته كل هذه التجارب على نحو خاص في أن يقود الولايات المتحدة في أسوأ أزماتها وهي الحرب الأهلية.

لقد أصبح لينكولن واحداً من أعظم رؤساء أمريكا، وذلك لتعاطفه الشديد مع الآخرين؛ نتيجة الصعوبات التي واجهته في حياته. ص ٧

١١- لا يمكن أن تغير الماضي، ولكن يمكنك أن تغير الطريقة التي يؤثر بها عليك، يجب أن تترك الماضي خلف ظهرك. ص ٨

١٢- اعلم جيداً أننا لا نستطيع أن نتحكم في الآخرين، أو الطريقة التي يتعاملون بها معنا، ولكن نستطيع أن نتحكم في رد فعلنا تجاههم. ص ٨

١٣- لا يمكن لأحد أن يغضبك أو يضايقك، كما لا يمكن لأحد أن يشعرك بعدم الأهمية أو الدونية إلا إذا سمحت له بذلك، وساعدته عليه. ص ٨

١٤- يستحيل ببساطة أن يؤثر أي إنسان على أي من آرائك أو مشاعرك، أو عواطفك ما لم تسمح له بذلك. ص ٨

١٥- خذ على نفسك عهداً بأنك لن تسمح لأحد بعد الآن أن يتحكم في حياتك أو رد فعلك تجاهه، أو تجاه الأحداث التي يفتعلها، أمسك بزمام الأمور. ص ٨

١٦- اعلم أنك وحدك تختار الطريقة التي تمارس بها حياتك، لا تتطلب هذه الأمور تغييراً جوهرياً في شخصيتك، وإنما تحتاج فقط إلى التزام تام بأن تلقي الماضي وراء ظهرك، وأن تنسى المرات التي عاملت فيها الآخرون بشكل سيئ أو آذوك، وأن تفكر في إمكانيات المستقبل لا في تجارب الماضي الفاشلة. ص ٨

١٧- ينبغي أن نحقق انتصارات صغيرة متوالية إلى أن يأتي يوم ندرك فيه أننا قد فزنا بالحرب. ص ١٣

١٨- لقد مر كل فرد منا بتجارب ناجحة و أخرى فاشلة؛ فأحياناً نعتلي القمة ، وأحياناً نجد الحياة مجرد شركاء تقع فيها.

ولكننا نشعر بعدم الأمان ، لاعتقادنا الخاطئ بأننا سبب كل المشكلات. والأسوأ من ذلك أن كلاً منا يشعر بشكل ما بأنه الشخص الوحيد على وجه الأرض الذي مر بهذه التجارب الفاشلة ، مع أننا نعلم جيداً أن هذا الاعتقاد سخيف. ص ١٣- ١٤

١٩- إذا لم يكن لديك قيم ومبادئ واضحة محددة تعيش لأجلها - فإنه من السهل أن تسيطر عليك آراء الآخرين الذين يستغلونك لتحقيق أهدافهم ، تأكد من وقوفك على أرض صلبة. ص ١٧

٢٠- لا تغرق في الماضي بإحياء التجارب الفاشلة ، أو تحاول أن تعود بذهنك إلى إنجازاتك السابقة ، ولكن انظر ماذا تعمله الآن ، وماذا تنوي تقديمه في المستقبل. ص ١٧

٢١- لا تبذر وقتك مع الذين يقللون من شأنك. ص ١٧

٢٢- نادراً ما يمنح الاحترام بلا مقابل؛ فلا بد أن يكون له ثمن. ص ١٧

٢٣- عندما يعلم الآخرون أنه لم يعد في استطاعتهم أن يقللوا من شأنك فسوف يتوقفون عن المحاولة. ص ١٧

٢٤- لن يهزمك أحد إلا إذا اعتقدت أنه يستطيع ذلك. ص ٢٠

- ٢٥- التغيير يتطلب شجاعة وتصميماً ومثابرة. ص ٢٥
- ٢٦- امتلك الشجاعة لتكون مختلفاً، ولكن لا تكن متناقضاً، أو متباهياً باستقلالك. ص ٢٦
- ٢٧- الشجاعة التي تميزنا عن غيرنا أن نكون صادقين مع أنفسنا. ص ٢٦
- ٢٨- خالط الأشخاص الإيجابيين. ص ٢٦
- ٢٩- تعلم من التجارب. ص ٢٧
- ٣٠- خصص وقتاً للتفكير. ص ٢٧
- ٣١- تعلم أن تتعاطف مع الآخرين. ص ٢٧
- ٣٢- كن كريماً في المجاملة الصادقة. ص ٢٧
- ٣٣- عندما تنزعج من الآخرين أو المواقف التي لا تستطيع أن تسيطر عليها فابتعد عن هؤلاء الأفراد، وعن تلك المواقف لفترة قصيرة. ص ٢٨
- ٣٤- فكر قبل أن تتحدث. ص ٢٩
- ٣٥- لا تحب ما أنت عليه، بل حب ما يجب أن تكون عليه. ص ٣١
- ٣٦- السعادة تحتاج حقاً إلى أن تتخلى عن أشياء معينة. ص ٤٣
- ٣٧- لن يصبح أحدٌ عظيماً بتقليد غيره. ص ٤٧
- ٣٨- ليس من المعقول أن تتخذ قرارات سريعة في قضايا هامة فعلاً. ص ٥٣
- ٣٩- كن قائداً، أو تابعاً، أو تنح عن الطريق. ص ٥٣
- ٤٠- خذ الوقت الكافي؛ لتصدر قرارات هامة، فنادراً ما تحتاج هذه القرارات إلى أن تُتخذ فوراً، نَمْ ودَعْ الليل يمر عليها، فسوف تكون أكثر موضوعية إذا

انتظرت أربعاً وعشرين ساعة. ص ٥٤

٤١- تذكر أن لكل قرار نتائجه ، إذا حددت هذا النتائج فسوف يساعدك ذلك

على اتخاذ قرار صائب. ص ٥٤

٤٢- اعلم جيداً أن القرارات نادراً ما تكون نهائية ، إذا أخطأت فعادة ما

يمكنك الرجوع فيه ، وتصحيح الأخطاء. ص ٥٥

٤٣- إذا كنت متحمساً لفكرة ، أو فرصة جديدة فلا تتوقع من الآخرين نفس

الشيء بالضرورة ، وربما يحقدون عليك ، أو ربما لا يعينهم الموضوع بأي حال

من الأحوال. ص ٥٥

٤٤- إن هؤلاء الذين يحققون نجاحاً كبيراً في الحياة هم الذين يعطون أكثر مما

يتوقع منهم. ص ٥٥

٤٥- إن الرجل الشجاع يمثل أغلبية في حد ذاته. ص ٥٥

٤٦- الشدائد تزيدك قوة. ص ٥٨

٤٧- تنطوي كل المحن على احتمالات لتحقيق فوائد مساوية لها أو أكبر. ص ٥٨

٤٨- لا تدوم الهزيمة إلى الأبد إلا إذا سمحت لها بذلك. ص ٦١

٤٩- أصعب جزء في أي وظيفة هو البداية. ص ٦٢

٥٠- تزداد قوتنا كلما واجهنا مشكلات ، فكما تُقَوِّي الرياضة العضلات فإن

التغلب على العقبات يعلمنا الإصرار ، والعمل بجِد واجتهاد ، والنجاح في النهاية.

ص ٦٢

٥١- تحديد الهدف يساعدك في تركيزك على طاقاتك وأفكارك على ما تريد

أن تحققه. ص ٧٢

- ٥٢- إذا كان لديك هدف محدد وتمتلك الإصرار والقدرة على تحقيقه _ فلن يطول تأخرك. ص ٧٢
- ٥٣- إن العوائق ما هي إلا مصادر إزعاج مؤقتة لا بد أن تتغلب عليها؛ لكي تصوب مسارك. ص ٧٢
- ٥٤- العقبات هي تلك الأشياء المرعبة التي تبعد عينك عن المهمة. ص ٧٩
- ٥٥- معظم الناس لا يهتمون بما لديك من معرفة إلا أن يعرفوا قدر ما لديك من اهتمام بهم. ص ٨٩
- ٥٦- إن أصعب سرٍّ يحتفظ به الإنسان هو رأيه الخاص في نفسه. ص ١٠٠
- ٥٧- من الأشياء العجيبة في هذه الحياة أنك إذا لم تقبل أي شيء سوى الأفضل فإنك ستحصل عليه في كثير من الأحيان. ص ١٠١
- ٥٨- من مقتضيات الحكمة أن تعرف ما يجب أن تتغاضى عنه. ص ١٠٦
- ٥٩- إذا اعتدت على ألا تفعل أي شيء يضر الآخرين ، وعلى أن تساعدكم بشكل عملي ومعقول _ فسوف تستفيد من هذه العادة أكثر من الآخرين. ص ١٠٦
- ٦٠- عندما تكون إنساناً رحيماً عطوفاً ومراعياً لشعور الآخرين فسوف تحترم نفسك بشكل أفضل ، وتصبح أكثر ثقة ، كما يزداد تقديرك لذاتك. ص ١٠٦

المحتويات

٣	المقدمة
	أولاً: نقولات من كتاب «الأدب الصغير، والأدب الكبير» لابن المقفع:
	_ تعريف موجز بالكتاب.
	أ_ ٥٠ نقلاً من الأدب الصغير.
٦	ب_ ٤٦ نقلاً من الأدب الكبير.
	ثانياً: نقولات من كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي:
	_ تعريف موجز بالكتاب.
٢٢	_ ٨٣ نقلاً من كتاب صيد الخاطر.
	ثالثاً: نقولات من كتاب «الأخلاق والسير» لابن حزم:
	_ تعريف بالكتاب.
٤٥	_ ٥٩ نقلاً من الكتاب.
٥٣	رابعاً: ١٠ نقول من كتاب «العبودية» لابن تيمية.
٥٧	خامساً: ٥٠ نقلاً من كتاب «الاستقامة» لابن تيمية.
٦٨	سادساً: ١١ نقلاً من كتاب «جامع الرسائل» لابن تيمية.
٧١	سابعاً: ٦٩ نقلاً من كتاب «الفوائد» لابن القيم.
٧٨	ثامناً: ٣٢ نقلاً من كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم.

تاسعاً: نقولات من كتاب « الحرية في الإسلام » للشيخ محمد الخضر حسين :

_ نبذة من سيرة المؤلف.

٨٦

_ ٥٨ نقلاً من الكتاب.

عاشراً: نقولات من كتاب « نقض كتاب: في الشعر الجاهلي »

١٠٧

للشيخ محمد الخضر حسين.

الحادي عشر: نقولات من كتاب « هدى ونور » للشيخ محمد الخضر

١١٤

حسين بعنوان خواطر، وفيه ٤٨ خاطرة.

الثاني عشر: نقولات من كتاب « أليس الصبح بقريب » للشيخ

محمد الطاهر بن عاشور:

_ نبذة عن المؤلف.

_ تعريف بالكتاب.

١٢١

_ ٤٧ نقلاً من الكتاب.

الثالث عشر: نقولات من كتاب « وحي القلم » لمصطفى صادق الرافعي:

١٣٦

_ ٥٥ نقلاً من الكتاب.

الرابع عشر: نقولات من كتاب: « آثار الشيخ محمد إبراهيم »:

_ نبذة عن المؤلف.

١٥٠

_ ٣٣ نقلاً من الكتاب.

الخامس عشر: نقولات من كتاب «مواظع الإمام عمر بن عبدالعزيز»
للشيخ صالح الشامي.

_ نبذة عن عمر بن عبدالعزيز.

_ ٢٣ نقلاً من مواظع عمر بن عبدالعزيز. ١٥٨

السادس عشر: نقولات من كتاب «مواظع الإمام مالك بن دينار»
للشيخ صالح الشامي.

_ نبذة عن مالك بن دينار.

_ ٢٠ موعظة لمالك بن دينار. ١٦٢

السابع عشر: نقولات من كتاب «مواظع الإمام سلمة بن دينار أبو
حازم» للشيخ صالح الشامي.

_ نبذة عن أبي حازم.

_ ٢٩ موعظة لأبي حازم. ١٦٤

الثامن عشر: نقولات من كتاب «مواظع الإمام سفيان الثوري» للشيخ
صالح الشامي.

_ نبذة عن سفيان الثوري.

_ ٢٧ موعظة من مواظعه. ١٦٨

التاسع عشر: نقولات من كتاب «مواظع الإمام إبراهيم بن أدهم»
للشيخ صالح الشامي.

_ نبذة عن إبراهيم بن أدهم.

_ ١٩ موعظة من مواظعه.

١٧١

العشرون: نقولات من كتاب «مواظع الإمام عبدالله بن المبارك» للشيخ
صالح الشامي :

_ نبذة عن عبدالله بن المبارك.

_ ١٩ موعظة من مواظعه.

١٧٤

الحادي والعشرون: نقولات من كتاب «مواظع الإمام الفضيل بن
عياض» للشيخ صالح الشامي :

_ تعريف بالفضيل بن عياض.

_ ٢٨ موعظة من مواظعه.

١٧٩

الثاني والعشرون: نقولات من كتاب «طاقتك الكامنة» لسمير شيخاني :

_ ٢١ فقرة من الكتاب.

١٨٤

الثالث والعشرون: نقولات من كتاب «قوة الاعتزاز بالنفس» لسامويل أ.
سيبرت :

_ تعريف بالكتاب.

_ ٦٠ نقلاً من الكتاب.

١٨٦

_ المحتويات.

١٩٣

